وزارة الاعلام
الهيئة العامة للاستعلامات

٢٠٠٨

سلسلة رواد الحركة الوطنية المصرية في التاريخ الحديث

-٣-

أحمد عرابى

تقديم السفير أيمن القفاص
رئيس الهيئة العامة للاستعلامات

تأليف : أ.د محمود متولى
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة قناة السويس

الاهـــداء

إلى مصر الغالية ..
إدراكاً واعياً لحضارتها وارتباطاً أصيلاً بترابها
وتشبثاً بأهدافها النضالية من أجل العدالة والحرية
إلى أحمد عرابى ..
أحد رواد الحركة الوطنية للتحرر من التبعية الأجنبية

فهـرس الدراسـة

- تقديم ٧
- تمهيد ٩
- الفصل الأول : الميلاد والنسب والنشأة حتى بداية الطريق الثورى ١٥
- الفصل الثانى : الثورة العرابية الأسباب والدوافع ٢٣
  - مقومات وأسباب الثورة (اقتصادية وسياسية وعسكرية) ٣٢
- الفصل الثالث : أحداث ومعارك الثورة العرابية ٣٧
  - ❖ المعارك السياسية للثورة ٤٥
  - ❖ زعامات الثورة العرابيـة ومحاكمتهم ٥٧
  - ❖ الأجانب والثورة ٦٢
  - ❖ الخونة للثورة العرابية ٦٣
  - ❖ ابطال أهملهم التاريخ ٦٧
- الفصل الرابع : الثورة العرابية أمام محكمة التاريخ مالها وما عليها ٦٩
  - ❖ حتمية نشوب الثورة العرابية ٧٢
  - ❖ ايجابيات الثورة العرابية ٧٦
  - ❖ دروس مستفادة من الثورة العرابية ٧٨
- الخاتمة ٨١
- المراجع والمصـادر ٨٧
- المؤلف فى سطور ٨٩

تقديم

تاريخ الأمة هو المرآة التى يرى فيها الفرد ذاته، فتتضح له معالم هويته وهو مصدر إلهامه واعتزازه بنفسه وبوطنه وبتراثه ، وخير معين فى جلاء الحاضر واستشراف المستقبل ، وهو سلاح من أسلحة الصمود فى وجه الكوارث والنكسات.

ولاشك أن الوعى التاريخى بمسيرة نضالنا وملحمة كفاحنا من أجل الحصول على حريتنا واستقلالنا هو أهم مايجب أن تتعرف عليه أجيالنا الشابة كى يؤمنوا أن ما وصلنا إليه كان بالبذل والعطاء والتضحية ، حتى يبقى هذا الوطن - دوماً- حر الإرادة .. لايتحكم فيه دخيل ولايهيمن عليه متسلط .

لكل ذلك تقدم الهيئة العامة للاستعلامات مجموعة دراسات تاريخية علمية نتعرف من خلالها على رموز الوطن الذين قادوا حركة الكفاح الوطنى وقدموا أروع صور البطولة والفداء .

إن الحديث عن رواد الحركة الوطنية فى مصر إنما هو - فى حقيقة الأمر - تمجيد للشعب المصرى قبل رموزه .. فالشعب هو صانع التاريخ لأى أمة من الأمم وتلك حقيقة لاجدال فيها .

آمل أن يكون هذا العمل رصيداً للتذكير بالماضى .. وبعثاً لثقافة تاريخية نفتقدها كثيراً فى وقت فيه أجيالنا الشابة فى أمس الحاجة إليها .

السفير/ أيمن القفاص
رئيس الهيئة العامة للاستعلامات

تمهيـد

لم تتعرض ثورة وطنية فى حياة أمة من الأمم أو شعب من الشعوب لتقييم متناقض كما تعرضت الثورة العرابية وذلك تمثل فى الكثير من أقوال المؤرخين قبل سنة ١٩٥٢ وبعدها وتعرضت هذه الثورة لحملة من السياط فى التعبيرات المطلقة والسهلة تدمغها إجمالاً بالعفوية وبأنها أضرت أكثر مما نفعت .. فمن " هوجة " إلى " عصيان " إلى " تمرد " إلى " حركة " خلال العهد الملكى .. إلى ثورة بلا أخطاء ، إلى نموذج متكامل للثورة ، إلى قفزة وطنية رائعة وتحد للغزو الأجنبى .. إلى غير هذه العبارات فى العهد الجمهورى .

قللنا من قيمتها فى الماضى وبالغنا فى أهميتها فى الحاضر .. وكلا وجهتى النظر فى حاجة إلى تعديل . لأن التصوير السطحى للأحداث التاريخية فى حياة الشعوب يكون ثمنه فادحاً ، كما أن الإهدار غير المقبول للحركات الوطنية يصيبنا بانكسار حاد فى نضالنا المتصل .

ويظن الكثيرون ممن درسوا الثورة فى عجالة أن مصر لم تناضل الإنجليز إلا فى كفر الدوار وأنها سرعان ما أستسلمت فى الميدان الشرقى .. ولكن الواقع التاريخى كان غير ذلك تماماً ... وهذا ماسوف توضحه فصول هذه الدراسة .

والذى لاشك فيه أن الثورة العرابية قامت فى ظروف تختلف عن ظروفنا الحالية مما يجعل حكمنا عليها وفقاً لمقاييس عصرنا حكماً ظالما .. ويكفى أن نقول أنها ثورة الشعب المصرى تضامنا مع قواته المسلحة التى خرجت كطليعة له تطالب من نظام الحكم الخديوى أن يحقق الديمقراطية ويصدر دستوراً ويقضى على تحكم الشراكسة فى السيطرة على الجيش ..

لقد كانت الثورة العرابية ثورة ضد الغزو الأجنبى للإقتصاد المصرى ..

وحققت الثورة خلال سنواتها الثلاثة الكثير مما كانت تطالب به ، فقد تشكل مجلس نيابى واع لم يصدر قراراً واحداً ضد مصلحة الشعب . وداخل هذا المجلس ظهرت صورة المعارضة البرلمانية الجادة ، بحيث يمكن أن يقال أن برلمان ١٨٨١ كان هو برلمان الشعب كله وكان دستور سنة ١٨٨٢طفرة نحو الحياة الدستورية المصرية .

كانت مصر خلال أحداث الثورة العرابية بحراً من الوطنية وجسدت تلاحم قوى الشعب المختلفة ولولا التدخل الأجنبى وبصفة خاصة البريطانى ما كانت الثورة قد فشلت .. وذلك باعتراف اللورد كرومر نفسه ولولا اللطمة القوية التى أصابت عرابى نتيجة لمنشور الكفر والعصيان الذى أصدره السلطان عبد الحميد الثانى ما تخلت الجماهير عن الثورة العرابية فى وقت كانت فيه بحاجة إلى تأييد هذه الجماهير ولكن العذر مع هؤلاء السذج الذين كانوا لا يعرفون إلا الولاء الدينى وذلك هو الوتر الذى استغلته الكثير من القوى الغازيه لمصر للتفرقة بين الشعب وزعمائه من القادة الوطنيين لأن الوطنية لم تكن بعد قد ملكت نفوس هذه الجماهير، والوطنية لاتعنى الكفر والإلحاد ولكنها تعنى الولاء للأرض والوطن ضد كل ألوان السيطرة والتبعية .

لولا الخيانة التى تعرض لها جيش عرابى من الضباط الشراكسة وعلى رأسهم "على يوسف" والضابط التركى أحمد عبد الغفار الذى اشتراه الإنجليز بحجة الولاء للخديوى وغيرهما ما كان الانجليز قد نجحوا فى هزيمة العرابيين فى معركة التل الكبير .

صحيح أن عرابى كانت له وبعض أصحابه بعض الأخطاء التى ارتكبت بحسن نية ولكن لن يغفرها التاريخ .. لأن الثورة فى بعض المواقف لاتعرف أنصاف الحلول كما أن عدم الحسم فى اتخاذ القرار المناسب فى الوقت المناسب كثيراً ما أضاع سنينا من عمر الشعوب .

لو أن عرابى أغلق قناة السويس ما كان قد نجح الإنجليز فى القدوم من الشرق إلى قناة السويس ونزلوا إلى البر .. لو أن عرابى أطاع عبد الله النديم فى التخلص من بعض الضباط الذين حدثت منهم ريبة وشك ما كان يمكن هزيمة

الجيش العرابى ، ولو أن عرابى كان قد انتهز الفرصة وأعلن خلع الخديوى محمد توفيق لأنه خان القضية الوطنية ما كان قد وجد فيه الإنجليز حجة شرعية للتدخل على أساس أنه هو الذى طلب حمايتهم من عصيان عرابى .. ولكن " لو " ما أكثرها فى حياة الأحداث التاريخية إلا أنها لن تغير مما حدث شيئاً .

ولايجب أن ينسى شبابنا أن عرابى الذى ولد فى ٣١ مارس سنة ١٨٤١ فى قرية "هرية رزنه" بالزقازيق (محافظة الشرقية) والذى لم يكمل تعليمه العالى والذى رقى من نفر تحت السلاح حتى وصل إلى رتبة الأميرالاى، لم تكن له الخبرة العسكرية الكافية لمواجهة الإنجليز وكان لاستهانته بقوات هؤلاء البرية وقدرتهم على خوض المعارك بعيداً عن البحر سبباً فى الإستهانة بعدوه ، وعلى مدار حركة التاريخ فإن الجهل بالعدو وعدم تقييمه التقييم الصحيح فإن ذلك كفيل بضياع الفرص لتحقيق النصر .

نقول أن عرابى الذى تلقى تعليمه الأولى فى إحدى كتاتيب قرية " هرية رزنة " القريبة من الزقازيق عاصمة مديرية الشرقية ثم درس أربع سنوات فى الأزهر وشارك كإدارى فى الجيش فى حرب مصر / الحبشة سنتى ١٨٧٥/١٨٧٦ وعمل ياوراً لسعيد باشا لم تلبث الحياة أن صقلته لأنه عانى فى عصر إسماعيل بل وظلم فى أوائل عهد توفيق ورغم كل ظروفه إلا أنه تحمل مسئولية الأمانة الوطنية التى حمله إياها زملاؤه وشعبه .

ومن يطلع على وثائق " عابدين " أو وثائق دار المحفوظات بالقلعة عن حجم التلغرافات وأسلوب إدارة المعركة خلال أحداث الثورة العرابية ليذهل ويصاب بالدهشة من تلك القدرة العجيبة التى كانت لدى عرابى ولا نملك إلا الانحناء له.

وسيظل يوم ٩ سبتمبر علامة بارزة فى حياة الشعب المصرى لأنه ذلك اليوم الذى وقف فيه عرابى فى مواجهة حاكم مصر الخديوى محمد توفيق ليقول له أمام قناصل الدول :

" نحن لسنا عبيداً ولن نورث بعد اليوم " ... لقد كانت صيحة الحرية ... صيحة الإيمان بالوطنية أطلقها القائد وهو على ثقة ويقين أن الله معه ، لأنه

يدافع عن حرية المظلومين ويرفع صوت الشعب إلى ظالميه " أننا لن نرضى بظلم بعد اليوم " ...

وستظل أسماء مثل محمد عبيد وعبد الله النديم وعلى الروبى وطلبه عصمت وعلى فهمى وعبد العال حلمى لامعة فى سجل الوطنية المصرية وستبقى دعوات الشعب المصرى .. الله ينصرك يا عرابى خالدة على مر الزمن .

والذى لاشك فيه أن الذين يأخذون الأمور بسطحية يلعنون الثورة العرابية على أنها كانت السبب فى الاحتلال البريطانى ويقفون فيها موقفاً متجنياً .. إن هؤلاء لا يحكمون نظرة الفكر الثاقب ولا يدركون أعماق ما كان يدور .. لقد كانت عين بريطانيا لاتنام وهى فى حالة قلق مستمر لأنها منذ حملة بونابرت على مصر سنة ١٧٩٨م وهى ترنو ببصرها على ذلك الموقع الاستراتيجى الهام ، وكانت تريد الاستيلاء على مصر بأى ثمن ، ورفضت الجلاء بقواتها التى جاءت إلى مصر لتشارك فى إخراج الحملة الفرنسية وتحت ظروف الضغط الدولى اضطرت للجلاء بجنودها سنة ١٨٠٣ عقب توقيع اتفاقية أو معاهدة إميان مع فرنسا .. ثم حاولت أن تعيد الكرة سنة ١٨٠٧ فيما عرف بحملة فريزر .

ثم وقفت ضد محمد على وكانت على رأس الدول التى حطمت الأسطول المصرى التركى سنة ١٨٢٧ فى معركة نوارين البحرية خلال حرب المورة .. ثم كانت هى التى قضت على نظام محمد على الاحتكارى ومهدت لغزو رأس المال الأجنبى سنة ١٨٣٧ ثم هى التى وقفت مع السلطان العثمانى ضد مصر وحددت حجم قواتها المسلحة بـ ١٨ ألف جندى بعد أن كانت قواتها تزيد عن ثلث مليون جندى .. وقلصت دور مصر فى المشرق العربى .

وجن جنون بريطانيا عند بدء مشروع قناة السويس الذى كان تحت رعاية فرنسا واعتبرت ذلك عودة للنفوذ الفرنسى إلى مصر ، ولم تستكن بريطانيا حتى نجحت فى عقد صفقة شراء أسهم قناة السويس بما يشبه القرصنة حيث إشترتها بأبخس ثمن سنة ١٨٧٥ ، ثم ظلت تغرق مصر فى الديون حتى أعلنت إفلاسها فأرسلت لها بعثة كيف المالية لتعرف أدق الأسرار عن الحالة المالية فى

مصر ... والوثائق التاريخية تؤكد أن بريطانيا كانت وراء عزل الخديوى إسماعيل فى ٢٥ يونيو سنة ١٨٧٩ ووراء تولية إبنه ضعيف الشخصية محمد توفيق ... فوضع نفسه منذ ذلك اليوم فى خدمة الأجانب رغم تظاهره أنه يحمل بذوراً ثورية وأنه يختلف عن أبيه، ولما حانت الفرصة لبريطانيا لإحكام قبضتها على مصر .. فوجئت بأحداث الثورة العرابية عندئذ أدركت أن أحلامها سوف تتبخر وأن ما كانت تخطط له منذ خروج الحملة الفرنسية سيضيع هباء إذا نجحت هذه الثورة وإذا قبض الوطنيون على زمام الأمور فى مصر ... فتظاهرت بأنها تراقب الأحداث ثم بدأت تغازل الخديوى وهى عالمة بأسراره ودخائله ودارسة لشخصيته وأهوائه فساندته ضد شعبه من خلال المذكرة المشتركة مع فرنسا الأولى والثانية ..

وتثبت الأحداث التاريخية أن مذبحة الإسكندرية دبرتها بريطانيا مع عميل الخديوى محافظ الإسكندرية فى ذلك الوقت المدعو " عمر لطفى " ... وليس أدل على ذلك من أن المالطى الذى كان سبباً فى المشاجرة التى من خلالها إندلعت المذبحة .. هذا المالطى كان يعمل بدار القنصلية البريطانية فى الإسكندرية وأن أخاه كان السائق الخاص للقنصل البريطانى .

كل ما نود أن نقوله ... أن بريطانيا كانت تريد مصر منذ أكثر من ثلاثة أرباع قرن ، وأن الثورة العرابية كانت ستاراً للتدخل البريطانى بحجة حماية السلطة الشرعية وبالتالى لايمكن القول بأن الثورة العرابية كانت السبب فى وقوع الاحتلال البريطانى وإنما الأدق أن نقول أنها كانت الفرصة التى انتهزتها بريطانيا لتحقيق حلمها فى السيطرة على مصر والذى كان سيتم إن عاجلاً او آجلاً وسواء قامت الثورة العرابية أو لم تقم .

بقى أن نقول أن مصر الثائرة الحرة الأبية تثور دوما من خلال إطار محدد قاعدته الاعتداء على أرضها أو النيل من عقيدتها أو محاولة سرقة أقواتها .

ومهما كان فإن الثورة العرابية كانت نتاج ظروف قاسية أحاطت بالمجتمع المصرى ، شاركت فيها كل الطبقات ... كل بنصيبه ولما شعر البعض أن الثورة بصدد الاعتداء على مصالحه بدأ ينسحب على استحياء والبعض رأى الانضمام

للجانب المعادى بسبب الإغراءات .

ورغم ما حدث فإن لعرابى وأقرانه مكانة فى قلوب الأحرار .

رحم الله عرابى وأصحابه فقد جاهدوا بقدر استطاعتهم ليعطوا لوطننا حقه فى الحرية والديمقراطية والعدالة الإجتماعية والسلام والرخاء .. فإن لم يكونوا قد نجحوا فى ذلك فهم على الأقل وضعوا بذور هذه المبادئ من أجل الأجيال التى أتت من بعدهم .

دكتور/ محمود متولى

الفصل الأول
أحمد عرابى
الميلاد ...
والنسب والنشأة
حتى بداية الطريق الثورى

ولد أحمد عرابى فى ٣١ مارس سنة ١٨٤١م الموافق ٧ صفر سنة ١٢٥٧ هـ طبقاً لما ورد فى مذكراته التى كتبها تحت مسمى " كشف الستار عن سر الأسرار والتى صدرت فى أكثر من جزء ... وذلك فى قرية " هرية رزنة " وهى إحدى قرى مديرية الشرقية (محافظة الشرقية الآن) على مقربة من الزقازيق (١) ... وقد تعددت بعض روايات المؤرخين حول مولده فالبعض قال أنه ولد فى ٢٣ جمادى الثانى من عام ١٢٤٨ هـ (أى ١٧ نوفمبر ١٨٣٢ م) ولكن الثابت أن مذكراته التى كتبها بخط يده هى الأصدق .

والده هو محمد عرابى بن محمد وافى بن محمد غنيم من ذرية صالح البلاسى البطائحى (٢) . وهو أول من قدم إلى مصر من العراق ، وهو من ذرية

١) جاء فى مذكرات أحمد عرابى أن هرية رزنه إحدى ضواحى بسط التى تدعى الآن تل بسط وهى بلدة قديمة موجودة قبل زمن وأنه لايزال فيها كثير من ذرية الفرس وهى واقعة فى شرقى مدينة الزقازيق على بعد ميلين .

٢) جاء فى مذكرات أحمد عرابى أن محمد غنيم هو ابن السيد عبد الله بن السيد حسن بن السيد على ابن السيد سليم بن السيد ابراهيم بن السيد سليمان بن السيد حسين بن السيد على ابن السيد حسن السماعى بن السيد صالح ابن السيد صالح البلاسى (نسبة إلى بلاسى وهى قرية صغيرة ببطائح العراق وهو أول من هبط مصر من أجدادنا وتزوج من السيدة صفية شقيقة السيد أحمد الرفاعى الصيادى ابن السيد على بن السيد عبد الرحمن بن السيد عمر بن السيد عبد الرحمن بن السيد على بن السيد صالح الأكبر بن السيد محمد ابن السيد على الحافظ بن السيد قاسم بن السيد عبد السميع بن السيد عبد الفتاح بن السيد حسين الاصغر بن الامام على الرضا بن الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام على الزاهر زين العابدين بن الامام الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بن الامام على بن ابى طالب كرم وجهه . وأمه السيدة فاطمة بنت السيد سليمان بن زيد تلتقى مع والده عند السيد ابراهيم مقلد .

الامام على الرضا بن الامام موسى الكاظم من سلالة الامام الحسين بن على بن أبى طالب ... أى أنه ينسب إلى الأشراف ، أما والدته فهى السيدة فاطمة بنت سليمان تجتمع مع والد عرابى فى جده الثالث عشر المسمى ابراهيم مقلد ... ويصف عرابى والده بأنه كان شيخاً جليلاً رئيساً على عشيرته عالماً تقياً موصوفاً بالورع والأمانة (١) .

وكان أبوه هو شيخ القرية التى استوطنت فيها عائلة عرايى فى عهد جده . ولما شب عرابى بدأ تعليمه فى كتاب القرية –الذى أنشأه والده –حيث تعلم مبادئ القراءة والكتابة (٢) ثم عهد به والده إلى صراف القرية الذى كان يدعى ميخائيل غطاس حيث قام بتدريبه على الأعمال الحسابية والكتابية ومكث عرابى يتمرن على يديه نحو خمس سنوات أحسن فيها معرفة القراءة والكتابة وبعض القواعد الحسابية ، وفى سن الثامنة طلب من أبيه ان يلحقه بطلبة العلم فى الجامع الأزهر فأجاب طلبه وأرسله إلى القاهرة فدخل الجامع الأزهر عام ١٢٦٥ هجرية (نوفمبر ١٨٤٩ م) ومكث فيه أربع سنوات أتم خلالها حفظ القرآن الكريم كما تلقى شيئاً من اللغة العربية والفقه والتفسير .

وقد توفى والد عرابى فى ٢٣ يوليو ١٨٤٨ لإصابته بوباء الكوليرا وكان يبلغ من العمر ٦٣ عاماً ، وكانت سن عرابى ٨ سنوات ويمكن ان يقال أن أمه هى التى تولت تربيته بعد ذلك وكان أخوه الأكبر محمد عرابى هو الذى يقوم بالانفاق عليه.

وكان عرابى هو ثانى الأبناء أما الأبن الأكبر فهو محمد عرابى وأخويه هما عبد السميع عرابى وعبد العزيز عرابى أما عن مصدر معيشة هذه الأسرة فقد كانت من ريع ٧٤ فداناً تركها الوالد ، وقد خص عرابى منها ثمانية أفدنة ونصف فى قرية "هرية رزنة " .

---

١) أقام والد عرابى بالجامع الازهر عشرين سنة تلقى فيها العلم والفقه والحديث والتفسير وكان يقوم بإلقاء درس فى مسجد القرية كل يوم للعامة بعد العصر وآخر بعد صلاة العشاء فتفقه عامة أهل البلد فى دينهم وصحت عبادتهم وحسن حالهم على يديه.

٢) يقول عرابى فى مذكراته أن فى ذلك الكتاب تعلم الكثير من أبناء بلدتنا ، حتى بلغ عدد المتعلمين فيها نحو نصفها وكان منهم العالم الأزهرى واللغوى الشهير الشيخ محمد حسين الهراوى والطبيب عبد الرحمن بك الهراوى والكيمائى الشهير عبد العزيز باشا الهراوى .

وهكذا كانت نشأة أحمد عرابى فى بيئة متواضعة فى قلب ريف مصر وفى أسرة متوسطة ، وعن هذا الأصل الاجتماعى يذكر عرابى فى خطاب منه إلى أحد رؤساء الآليات بعد توليه وزارة الحربية بأن يخطر الضباط بأن الفقراء "صار عندهم أمل فى أن أولادهم يتقدمون ويصيرون حكاماً على بلادهم بعد أن كانوا يتوهمون أن ذلك من المستحيل عليهم ولا كان يخطر ذلك فى أفكارهم ولنضرب مثلاً لحضرات الضباط بنفسى لأنى لست من بيت غنى بل من بيت متوسط الحال وها أنا بين أيديكم الآن ناظراً على جهادكم " .

عاد عرابى من الأزهر إلى بلده وظل بها ، إلى أن أمر سعيد باشا بتجنيد أولاد عمد البلاد ومشايخها فى سلك الجيش وكان محمد سعيد باشا الوإلى الثالث من أسرة محمد على يفضل المصريين ولا يحب الأتراك والجراكسة (١).

وبناء على هذا الأمر جند عرابى فى ١٥ ربيع أول سنة ١٢٧١ (٦ ديسمبر ١٨٥٤م) ويؤكد ذلك مقال كتبه عبد الله النديم عن تاريخ حياة أحمد عرابى فى العدد ١٧ من السنة الأولى فى ٩ أكتوبر سنة ١٨٨١ م فى مجلة "التنكيت والتبكيت".

وقد ذكر البعض أن أحمد عرابى دخل فى سلك العسكرية جوراً ولكن الحقيقة أن انتظام عرابى فى السلك العسكرى كان بناء على رغبة شديدة منه منذ طفولته وأتاح سعيد باشا بقراره هذا تحقيق تلك الرغبة التى يعبر عنها عرابى :-

" وكنت أحب العسكرية فى صغرى وأفرح عند رؤية الجهادى ماراً على ، ولم يزل هذا الحب يكبر عندى حتى انتظمت فى سلك العسكرية " .

وقد جند عرابى وهو فى الرابعة عشرة من عمره ، وذلك لطول قامته ويذكر عرابى أنه الحق بالأورطة السعيدية المصرية بقناطر فم البحر كجندى بسيط أى

١) تولى محمد على ولاية مصر فى ١٣ مايو ١٨٠٥م بعد الثورة الشعبية التى قامت بزعامة كل من عمر مكرم وعبد الله الشرقاوى وظل يحكم حتى سنة ١٨٤٨م حيث تولى ابنه ابراهيم باشا فى ابريل ١٨٤٨ ولكن ابراهيم باشا لم يعمر طويلاً فقد مات بعد سبعة أشهر من ولايته الحكم ثم تولى بعده أكبر أبناء الأسرة سناً وهو عباس الأول ابن طوسون - وذلك طبقاً لفرمان السلطان العثمانى الصادر بتنظيم الوضع فى ولاية مصر -وكانت مدة حكم عباس الأول من ١٨٤٨ حتى ١٨٥٤ ثم تولى سعيد باشا ابن محمد على لمدة تسع سنوات أى من ١٨٥٤ حتى ١٨٦٣ ثم تولى بعده إسماعيل والذى كان أول ولاة مصر الذين يحملون لقب خديوى وتولى بعد إسماعيل الذى خلع فى ٢٥ يونيو ١٨٧٩ أى بعد ١٦ سنه من ولايته وكان أول من يخلع من الحكم من أسرة محمد على ، تولى بعد خلع إسماعيل ولده محمد توفيق والذى فى عهده نشبت الثورة العرابية وقد حكم توفيق من ١٨٧٩ حتى ١٨٩٢م وفى عهده وقع الاحتلال البريطانى لمصر .

" نفر " ... كما يقول عبد الرحمن الرافعى ولكن جورجى زيدان فى كتابه تراجم مشاهير الشرق فى القرن الـ ١٩ الجزء الأول يقول أنه حصل على رتبة " وكيل بلوك أمين من أول يوم صار انتظامه فى الجيش وذلك بعد إمتحانه .

وقد جاء فى مذكرات عرابى أنه دخل العسكرية نفراً بسيطاً ولكن نظراً لإجادته القراءة والكتابة والحساب عين كاتباً برتبة " بلوك أمين " فى نفس عام دخوله الخدمة بالأورطة الرابعة آلاى المشاه الأول .

ورأى عرابى أن الباشجاويشية المصريين يترقون إلى رتبة الملازم ثان ... ولكن البلوك أمين لا يترقى إلا إلى رتبة الصول وفيها يفنى عمره ... فطلب من قائد الآلاى ضمه إلى أورطه كانت مرسلة إلى المنصورة برتبة جاويش وهى رتبة مساوية لرتبة البلوك أمين إلا أن راتبها يقل عشرة قروش ولما سأله قائد الآلاى عن السبب قال له ما فى نفسه ، وهو الحصول على رتبة الضباط ، فأمر بتعيينه جاويشاً وظل فى تلك الرتبة عامين .

وتدل هذه القصة على أن عرابى كان يملك طموحاً فى تلك السن المبكرة من حياته. ولم يلبث عرابى أن رقى إلى رتبة الباشجاويش فى سبتمبر ١٨٥٦ وفى ٢٣ اكتوبر ١٨٥٨م رقى إلى رتبة الملازم الثانى وفى ٢٢ يناير ١٨٥٩(١) رقى إلى رتبة ملازم أول ، ونظراً لكفاءته وحسن بلاءه فى التدريبات رقى إلى رتبة اليوزباشى فى ١٨ مارس ١٨٥٩ وسنه لا تتجاوز الثامنة عشرة وفى ١٩ نوفمبر ١٨٥٩ رقى إلى رتبة صاغ ثم فى ٩ مارس سنة ١٨٦٠ رقى إلى رتبة البكباشى وفى ١١ سبتمبر من نفس العام حصل على رتبة قائمقام ، وهذه الرتبة لم يصل إليها أحد من المصريين من قبله وكان عثمان رفقى –الذى أصبح فيما بعد ناظر الجهادية –قد نال مع عرابى هذه الرتبة فى نفس تاريخ ترقيته ويذكر عرابى أنه حصل على تلك الرتب فى مدة ستة أعوام إلا عشرين يوماً من تاريخ دخوله الخدمة .

ولاشك أن ترقيات عرابى فى الجيش بهذه السرعة تثير التساؤل فيكفى أنه قد حصل على رتبة القائمقام وهو فى العشرين من عمره وقيل ان السبب فى هذا يعود إلى أن سعيد باشا والى مصر اعتزم ترقية المصريين فى الجيش حيث حظى عرابى برضى سعيد باشا فعينه ياورا له وقد رافقه فى زيارة للمدينة

١) تمت ترقية عرابى إلى رتبة الملازم الثانى بعد أدائه إمتحاناً أمام لجنة عسكرية .

المنورة وكانت تلك أول مرة يغادر فيها عرابى أرض مصر .

وأنس عرابى من سعيد باشا عطفاً كبيراً على طبقة الفلاحين ، فأحبه أكثر وزاد فى تفانيه وفى خدمته ... كما أن سعيد باشا بدأ يقوم بحركة تغيير للضباط الأجانب فى الجيش بأبناء البلاد من المصريين وكان عرابى من هؤلاء المختارين ولعل ذلك يعطى تفسيراً لسرعة ترقية عرابى (١) كما أن حب عرابى للقراءة جعله يدرس مما أدى إلى تفوقه على أقرانه فى الجيش والذين كانوا فى غالبيتهم فى غاية الجهل ... فلم تكن ترقيات عرابى لا بالحظوة ولا بالوساطة ولكن بالتفوق على أقرانه من الضباط .

ويضيف عرابى فى مذكراته سطوراً حول خدمته فى الجيش أيام سعيد باشا وانحصارها فى التمرينات الحربية :-

" كانت مدة المرحوم سعيد باشا كلها سفريات وتمرينات حربية من الاسكندرية إلى مريوط ، ومنها إلى دمنهور ، إلى القاهرة ، إلى الخانكة أول العباسية ، فإلى طره فبنى سويف فجبل الطير بمديرية المنيا فقنا فسهل باب الملوك فإسنا ، وكنت عاملاً فيها " .

وكان سعيد باشا يثق فى عرابى إلى درجة أنه كان يشركه معه فى ترتيب المناورات الحربية بل وفى بعض الأحيان كان ينيبه عنه فى تلقينها لكبار الضباط، ووصلت درجة التقارب بين عرابى وسعيد باشا أن أهداه سعيد باشا كتاباً عن تاريخ نابليون بونابرت مكتوباً باللغة العربية .

وأعجب عرابى بسيرة نابليون وشعر بحاجة البلاد إلى حكومة تسعى إلى تحرير الإنسان وتقوية الانتماء لوطنهم .

وازداد هذا الشعور الوطنى لدى أحمد عرابى عند سماعه لخطبة ألقاها سعيد باشا فى قصر النيل أمام الحاضرين من العلماء وأفراد الأسرة الحاكمة وكبار رجال الحكومة والضباط (وذلك فى مقر نظارة الجهادية) جاء فيها :-

" أيها الإخوان ... إنى نظرت فى أحوال هذا الشعب المصرى من حيث التاريخ

١) حاول سليم نقاش تشويه ترقيات عرابى بقوله أن عرابى منذ أول دخوله الجيش كان يتوسط له أحد أهإلى بلده ويدعى حسن حلمى (باشجاويش بروجى سعيد باشا) وأن هذا الباشجاويش أصبح قائمقام ثم توفى مختنقاً فبكاه عرابى بكاء شديداً . ولما بلغ سعيد باشا ذلك أنعم عليه برتبة المتوفى أى قائمقام ولكننا نشكك فى صحة هذه الرواية ... لأن ذلك غير واقعى .

فوجدته مظلوماً يستعبد لغيره من أمم الأرض ، فقد توالت عليه دول ظالمة له كثيراً وحيث أنى أعتبر نفسى مصرياً فوجب على أن أربى أبناء هذا الشعب وأهذبه تهذيباً ، حتى أجعله صالحاً لأن يخدم بلاده خدمة صحيحة ويستغنى بنفسه عن الأجانب وقد وطدت نفسى على إبراز هذا الرأى من الفكر إلى العمل " .

وقد خرج المدعوون غاضبون حانقون مندهشون لما سمعوه ، وأما المصريون فقد خرجوا ووجوههم تتهلل فرحاً واستبشاراً ويعلق عرابى على هذا الخطاب أنه كان أول حجر فى أساس مبدأ مصر للمصريين .

لقد كان عرابى يؤمن بمصريته وبحق أبناء مصر فى تحمل مسئوليتها فشدت خطبة سعيد باشا انتباهه ولو لم يكن وطنياً صادقاً لما لفتت تلك الخطبة نظره .

ولكن لم تهنأ الأيام لعرابى والكثير من رفاقه المصريين فى الجيش المصرى لتحقيق ذلك الحلم حيث أراد سعيد باشا أن يسدد ديناً لألمانيا وفرنسا مقداره ثلاثة ملايين جنيه ، ثمن بناء حوض بالسويس وشراء مدافع من ألمانيا وملابس ومهمات حربية وأسلحة مما دعاه إلى اتخاذ إجراءات بتقليل الانفاق فكان أن أمر بتسريح الجنود إلى بلادهم وأحال الضباط على المديريات التى ينتمون إليها إلى الاستيداع بنصف مرتب ... وبالطبع لم يلغ سعيد باشا الجيش كله ولم يُحل ضباطه كلهم إلى الاستيداع ولكنه ألغى بعض الفرق وفصل ضباطها من الخدمة وكان من ضمنها الفرق التى ينتمى لها أحمد عرابى ... إلا أن سعيد قبيل وفاته أمر بعودة الضباط المصريين المحالين للاستيداع إلى الجيش مرة أخرى وكان ذلك يعنى عودة عرابى إلى موقعه فى الجيش السابق برتبته .

وفى عهد الخديوى إسماعيل وقعت خصومة بين عرابى وبين أحد اللواءات الشراكسة يدعى اللواء خسرو باشا ، وقدم بسببها عرابى للمحاكمة العسكرية وحكم عليه المجلس بالسجن واحد وعشرين يوماً ، ولكن عرابى استأنف الحكم عليه أمام المجلس العسكرى الأعلى والذى قضى بإلغاء الحكم الابتدائى ، وبسبب ذلك حدث خلاف بين وزير الحربية (ناظر الحربية) وقتئذ إسماعيل سليم باشا وبين رئيس المجلس العسكرى الأعلى ، لأن الوزير كان يرغب فى تأييد الحكم

الابتدائى، وسعى وزير الحربية لدى الخديوى إسماعيل ... ليفصل أحمد عرابى ... وتم فعلاً فصل عرابى ... وقد تركت هذه الحادثة فى نفس عرابى كراهية شديدة للضباط الشراكسة وسيطرتهم على الجيش .

وحاول عرابى رفع مظلمة للخديوى إسماعيل ولكن تعمد من حوله إهمال النظر فيها وعدم عرضها واستمر الحال على هذا لمدة ثلاث سنوات ..

وفى هذه الأثناء ، التحق أحمد عرابى بوظيفة فى دائرة الحلمية .. وخلال شغله هذه الوظيفة تزوج من كريمة مرضعة الأمير إلهامى باشا –وهى أخت حرم الخديوى محمد توفيق فيما بعد من الرضاعة –ومن هنا حدثت وساطة بعض المقربين من زوجته فى استصدار أمر من الخديوى إسماعيل بالعفو عنه وإعادته إلى الجيش برتبته العسكرية .. ولكنه حرم مرتبه خلال مدة فصله ... فزادت كراهيته أكثر وأكثر على أوضاع الجيش ونفوذ الضباط الشراكسة وتعنتهم مع الضباط المصريين .

وبدأ عرابى كفاحه منذ عهد إسماعيل والذى تعرض فيه لكثير من صنوف الاضطهاد وكانت دعوته الوطنية بين الضباط الوطنيين ضد النظام التركى والشركسى والمطالبة بالمساواة بين أبناء مصر وغيرهم من باقى الأجناس منذ أوائل سنة ١٨٧٤ م حينما كان قائداً على أحد الآليات برشيد .

وقد عين أحمد عرابى مأموراً للحملة العسكرية المصرية على الحبشة ، وهذه الحملة إنتهت بهزيمة الجيش المصرى وكان للهزيمة أثر كبير فى نفسه لما رآه من استهتار القيادة الشركسية والأجنبية بالجيش المصرى والزج به فى مغامرات لا طائل من ورائها .

الفصل الثانى
الثورة العرابية .. الأسباب والدوافع

تؤكد حكمة التاريخ .. أن ماسُلب منا أوقات الشدة مجبرين ترده لنا الإرادة والمثابرة أما ما نتنازل عنه طائعين فإنه يضيع ونفقده إلى الأبد .

والكثير من دارسى التاريخ يعرفون أننا نصبر على المكاره ولكنهم لا يدركون أننا لا نعرف التسليم لأعدائنا ولا التنازل عن مطالبنا . وأن شعباً له هذه الصفات لجدير بأن يمضى قدماً فى طريق الحرية والمجد حتى يستعيد مكانته السامية وعظمته الخالدة .

والشعوب الحية لا تطوى مآسيها فى بئر النسيان ، وإنما تستخلص دروسها لتعبر محنتها وتتذكر جيداً أخطاءها لتعرف كيف تحمى مستقبلها .

لما اقترنت الثورة باسم عرابى ؟

لم تقترن ثورة بقائدها مثلما اقترنت الثورة العرابية بأحمد عرابى فى الإسم والشخصية ، والسيرة ، ولا يعود ذلك إلى الصدفة أو لأن عرابى هو الذى قام بها ولكن العوامل التاريخية هى التى حتمت أن تدور أحداث هذه الثورة حول هذا المحور ولعل أبرز هذه العوامل أنها كانت ثورة ضد حكم الفرد المطلق وضد سلطان الحاكم الجائر ، وكان لابد للحركة الوطنية من زعيم يقودها وقائد تنتسب إليه ، كما أن ظروف المجتمع المصرى تحتم عليه دوما النظر إلى البطل كقوة مجسدة لآماله معبرة عن طموحاته ، وإذا لم يوجد هذا الزعيم فإن الشعب يدفع بواحد منه ثم يصنع منه أسطورة الزعامة والبطولة حتى لو كان لا يحمل من صفاتها أية خصائص أو سمات ، ومازال تفسير تاريخنا معتمد —وهذا خطأ بلا شك —على الدور الذى يلعبه القادة الأبطال مع أن الشعب هو صانع التاريخ وهو وحده المحرك له ، وما البطل أو الزعيم إلا وكيل عن هذا الشعب يرتضى قيادته

طالما أجاد وصدق ويرفض زعامته إن خان أو غدر أو تسلط وتحكم .

ولا شك أن جسامة ما ترتب على هذه الثورة من نتائج .. هو الذى شكل العمود الفقرى لتاريخنا وحركة نضالنا ونقصد به واقعة الاحتلال البريطانى .. هذا يجعلنا نتأنى فى فهم هذه الثورة حتى لا نظلم أبطالها وحتى لا نسئ الحكم عليها .

وهناك مجموعة من الملاحظات نوردها فيما يلى حول الثورة العرابية :

الملاحظة الأولى :

الكثير من أحداث الثورة العرابية فسر على يد الأجانب ، بناء على ما جاء فى أقوال الإنجليز الذين كانت لهم الغلبة على الثورة والذين أخفوا الكثير من أحداث هذه الثورة وبالذات تلك التى أكدت تضامن الشعب المصرى وراء قيادته ، كما أن الوثائق البريطانية روت وجهة نظر بريطانيا تجاه الموقف ، لذلك فإن الاعتماد على تفسير الثورة العرابية فى ضوء هذا الإطار يعتبر خطأ فادحاً فى حق مصر حتى لو افترضنا جدلاً أن البعض كتبها بحسن نية .. هذا مع الوضع فى الاعتبار أن معظم هذه الوثائق صيغت لتبرير وجهة النظر البريطانية فى أن تدخل بريطانيا فى الأحداث كان من أجل أوروبا .. ومن أجل ظروف إنسانية .. وفى ضوء استنجاد السلطة الشرعية بها لإنقاذها من الفوضى والعصيان .. وبالطبع ليس كل هذا بصحيح فى معظمه .

الملاحظة الثانية :

إن بعض المؤرخين ظنوا أن الثورة العرابية مرتبطة بعوامل ذاتية جوهرها الظلم الذى وقع على بعض ضباط الجيش وانساق وراء هؤلاء الكثيرون متناسيين أن الاحداث الطارئة والعوامل الشخصية فى سير التاريخ هى بمثابة الشكل أما الواقع فإن الذى يحرك التاريخ هو المضمون العام ، ومحتوى التاريخ دوماً هو روح الجماعة لأن الجماعة هى قوة الدفع ولولا أن الثورة العرابية رفعت شعارات تنصت لها قلوب الجماهير المصرية ما كانت هذه الجماهير قد أيدتها ووقفت إلى جانبها .. لأنه دوما على خطأ الذى يظن أن شعب مصر ساذجاً ويمكن خداعه .

الملاحظة الثالثة :

إن أحداث الثورة العرابية لم تجئ فجأة ، بل كانت ناتجة عن تراكمات ظلت

تترسب فى الشخصية المصرية حتى انفجرت فى أوائل عهد توفيق .. وبمعنى أدق بعد ولايته فقط بأقل من ثلاثة أشهر ، وكانت الظروف الموضوعة التى سيطرت على موقف الشعب المصرى هى التى دفعت عامة الشعب إلى السخط والتبرم وليس أدل على تأييد الجماهير للثورة أنه لم ينفق على الجيش درهم واحد من خزانة الحكومة .. وتحملت جموع الشعب كافة المصروفات برضى وروح وطنية من أجل الحصول على حرية بلدها .. ويكفى فى هذا الصدد أن نطلع على تلك البرقيات والتبرعات التى أرسلت لأحمد عرابى من جميع أنحاء مصر تؤكد وقوفها بجانبه وتبرعها بالمال والذهب والمحاصيل حتى تنجح الثورة فى أهدافها.

فجميع النفقات التى لزمت لمائة ألف جندى مصرى أثناء الحرب ضد الإنجليز كانت كلها من تبرعات الأمة المصرية بغير تمييز بين العقائد .. فمن الأهالى من تبرع بنصف ما يمتلك ومنهم من عرض أولاده للدفاع عن الوطن لعدم قدرته على الدفاع بنفسه ، فأظهرت بذلك الجماهير المصرية من النخوة والرجولة والغيرة الوطنية ما لم يسبق له مثيل فى القرون الحالية .. وقد أقر عرابى بذلك فى مذكراته ... وبالطبع لم يكن سهلا أن يتحقق ذلك فى ثلاثة شهور أو حتى ستة مهما كانت العوامل الفكرية والدوافع النفسية .

ولا يغيب عن فطنة المؤرخين أن بذور الثورة تشكلت تدريجيا منذ ولاية عباس الأول ابن طوسون (وهو ابن عباس حفيد محمد على) الذى فرض العزلة على مصر والذى كان يخشى أطماع الدول الأجنبية الأوروبية فيها، وتصاعدت عوامل قيام الثورة فى نهاية عهد سعيد باشا ثم خلال حكم إسماعيل بنزواته وبإسرافه وبالتغلغل الأجنبى الذى حدث فى عهده ولم يسبق له مثيل .. وكانت مصيدة الديون هى بداية الطريق لضياع استقلال مصر .. وفى نفس الوقت كانت الحركة الوطنية تزداد صعوداً بسبب انتشار الصحافة الأهلية ومن خلال الدور الذى قام

١) جمال الدين الأفغانى من تلك الشخصيات العظيمة التى تسرع بخطى التاريخ إلى الأمام ، بدل تركها تسير فى مجراها الطبيعى ، كان يكره الاستعمار منذ أن اصطدم به فى أفغانستان والهند ، كما كان يكره طغيان الحكام الذين مهدوا للإستعمار التغلغل ونادى بتقييد سلطتهم بالدساتير ورقابة الشعب ، وقد اجتذبت آراؤه وشخصيته فى مصر الصفوة المفكرة التى غرس فيها معانى الحرية والنخوة والثورة . وكان فى ندواته يقول لهم : ألا يخشوا بأس الحاكم ، فليس قوته إلا بهم ولا غناه إلا منهم وأن يلحوا فى طلب حقوقهم المغصوبة وسعادتهم المسلوبة . وأخذ جمال الدين الأفغانى يدرب الشباب على الكتابة ويوحى إليهم بالمعانى الجديدة التى يكتبونها ويشجعهم على إصدار الصحف التى تتصدى للكتابة فى الموضوعات التى تمس حياة العامة فى صميمها .

به جمال الدين الأفغانى

وقد اختمرت دوافع الثورة فى عهد توفيق وكانت الفكرة قد تخمرت ولم تلبث أن وجدت الظروف المناسبة للإفصاح عن نفسها (١) .

الملاحظة الرابعة :

أن فى تاريخ الثورة العرابية الكثير من البطولات والتى لم تأخذ حتى الآن حقها التاريخى فى التمجيد .. ولعل تلك عادة سيئة فى الشعوب العاطفية فهى تربط الحركة والسكون بإرادة زعيم واحد وتلصق التطور والتقدم لبطل فرد وتجعل مستقبلها رهنا بإرادة قائد .. وهذا خطأ لابد من الوقوف فى مواجهته .. فكم فى احداث الثورة العرابية من ألوان البطولة مما هو جدير بالتسجيل .. وإذا كانت رغبة الإنسان أن ينساها فإن إرادة الله لن تغفلها وقد افسحت لها فى ملكوت السماء ، ماتستحق من قدسية تفوق مكافأة البشر فهناك محمد عبيد البطل الذى استشهد فى معركة التل الكبير ولم يترك ميدان المعركة حتى اندثرت اشلاؤه وهو رافع سيفه يقاتل ببسالة من فوق صهوة جواده وحتى الآن لم يعرف له قبر (١) .

١) أدرك توفيق أن تحالف أبيه مع البورجوازية المصرية لم يحل دون خلعه ، فلم يجد مفراً من الإذعان للوصاية الأجنبية وأخذت حكومة توفيق برئاسة رياض تنزل أشد ألوان القمع بالطبقة البرجوازية المصرية . فاضطرت طلائع هذه الطبقة إلى تأليف الحزب الوطنى برئاسة شريف باشا فى مدينة حلوان وأخذت تنظم نضالها ضد حكومة رياض .. والذى لا شك فيه أن ولاية توفيق كانت انتكاسة للحركة الوطنية ورجعت إلى الوراء فقد اصطدم بشريف باشا من أجل الدستور والمجلس النيابى .. وعاد الشعب إلى النضال .. ولم يكن إندلاع الثورة محتاجاً إلا لظهور الرجل الذى يلتف الثوار من حوله ، وينعقد لواء الزعامة له .. وكان هذا الرجل هو أحمد عرابى .

كان البكباشى محمد عبيد من ذلك الفريق من المصريين المظلومين الذين كان يراد لهم الذل ويدبر لهم فى الخفاء وكان مصرياً صميماً من ابناء كفر الزيات وقد دخل الجيش جندياً صغيراً وظل على حاله سنوات طوالاً .. وكان من الممكن أن يظل على هذه الحال لو لم تتصفه المقادير كما أنصفت غيره من المصريين وترفعه إلى مقام الضباط ومضى يرتقى من درجة إلى درجة حتى نجده بكباشياً فى الآلاى السودانى فى مايو ١٨٨٠ وقد وضع عثمان رفقى وزير الحربية اسمه فى قائمة المغضوب عليهم من المصريين وقرر نقله من مركزه وإجلاء شركسى محله فلم يكد عبيد يسمع بذلك حتى خف مع رئيسه عبد العال حلمى حكمدار الآلاى السودانى إلى منزل عرابى يبسط أمامه مايدبر الشراكسة لآهل مصر من سوء المصير وكانت تلك بداية اللقاء والتعارف بين محمد عبيد وعرابى .. وقد ملأت الحماسة نفس عرابى لمواطنيه وتصدى للدفاع عنهم .. وكتب إلى رياض باشا رئيس الوزراء أنئذ يطلب اليه عزل عثمان رفقى وقد رفعها معه عبد العال حلمى وعلى فهمى وأقسم الضباط المصريون على الدفاع عن حريتهم وكرامة مواطنيهم حتى الموت .. وكانت تلك العريضة هى البداية الفعلية لحركة الثورة العرابية .

وظل محمد عبيد بعد انقاذه عرابى وزملاؤه فى ثكنات قصر النيل من سيوف الحركة الوطنية .. وبالفعل كان هو البطل الصامت لأحداث الثورة العرابية إلى أن جاءت معركة التل الكبير فكان هو الذى ثبت مع جنوده الذين لم يتعدوا الآلاف الثلاثة وأبو أن يتزحزحوا أمام العدو الغادر رغم انفضاض كل من حوله من المتطوعين وإعتصم مع فرقته ومضى يجاهد جهاد المستميت وصوب عليهم الانجليز مدافعهم وأصلوهم ناراً حامية ورغم حصاد النار لهم إلا أنهم ظلوا ثابتين لا يدركهم خوف ولا يتسرب إلى نفوسهم اضطراب إلى أن بقى قائدهم فرفع علم مصر ويصوب بندقيته إلى الاعداء حتى فاضت روحه ولا يزال علم مصر الحرة يرفرف ..

وكان محمد عبيد هو البطل الذى أنقذ أحمد عرابى وأبطال الثورة الثلاثة الذين كان قد غدر بهم فى ثكنات قصر النيل .. ولولا شجاعته لكان قد انتهى أمر عرابى وزملائه وأصبح فى طى النسيان .

وهناك عبد العال حلمى الذى ارتبط أسمه بالكثير من المواقف المشرفة ، ولعله الوحيد بين العرابيين الذى استحق عن جدارة أن يكون موضع اضطهاد اعداء الثورة من الشراكسة إلى الخديوى إلى الانجليز .. وقد قال عنه عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية وشاعرها الحميم " :-

" إن عبد العال حلمى هو رجل الرجال " ووصفه احمد عرابى بأنه " الشهم صاحب العزم القوى " .. وحين مات أجمع اصحابه واخوانه على نعيه بصفة واحدة هى أنه كان " شهيد الوطنية " .

ثم هناك عبد الله النديم خطيب الثورة وأحد الذين يتساوون مع مفكرى أية ثورة أخرى وكان عبد الله النديم رجلاً تجمعت فيه طاقات شعب عريق غلبه الاستبداد وطحنه الاستغلال فما كان له إلا أن طلب الحرية ودعا لها من خلال ازجاله وأشعاره وانطلق يعبر عنها أديبا وشاعراً وصحفياً وخطيباً وسياسياً ومحارباً .

ويعد النديم من أقطاب الحركة الوطنية التى نشأت قبل الاحتلال البريطانى ، وهو خطيب الثورة العرابية ، وأصدر ثلاث صحف فى حياته .. الأولى هى جريدة " التبكيت والتنكيت" ثم استبدلها بجريدة " اللطائف " ثم اصدر مجلة " الاستاذ" لمقاومة الاحتلال .

بعد فشل الثورة العرابية اختفى عبد الله النديم عشر سنوات فى مديرية الغربية متنقلاً وقبض عليه فى شهر نوفمبر ١٨٩١ وأمر الخديوى توفيق بإبعاده خارج مصر فاختار يافا منفى له حيث سافر اليها سنة ١٨٩٢م .

ثم عاد إلى مصر وبدأ يحفز همم المصريين ونالت صحفه الشهرة والانتشار ولعبت دوراً فى شحذ المصريين ولكن الاحتلال البريطانى نفاه خارج مصر مرة أخرى حيث استقر بالأستانة وظل بها إلى أن قضى نحبه بها فى ١١ أكتوبر ١٨٩٦م .

الملاحظة الخامسة :

يحاول الكثيرون من الذين يدرسون شكليات الأحداث دون الغوص فى مضمونها أن يجعلوا الاحتلال البريطانى نتيجة طبيعية لأحداث الثورة العرابية وكأنهم يحاولون القول أنه لو لم تحدث الثورة العرابية لما وقع الاحتلال البريطانى، ونحن نود أن نبدد هذا الرأى الساذج بانه ليس هكذا تفسر الأحداث التاريخية .. ذلك أن بريطانيا بعد قدوم الحملة الفرنسية على مصر فى سنة ١٧٩٨ أصبحت عينها لا تغفل عما يدور فى مصر .. لأن إحدى النتائج الهامة لهذه الحملة التى قادها بونابرت كان ظهور ما يسمى بالمسألة المصرية على سطح الحياة السياسية الأوروبية ، حيث وضحت أهمية موقع مصر الاستراتيجى فى طريق المستعمرات الإنجليزية فى الشرق وقد وضعت بريطانيا لنفسها منذ خروج الحملة الفرنسية سياسة ثابتة لم تتزحزح عنها .. وكانت هذه السياسة ترتكز فى:

١- أن يكون فى مصر حكومة ضعيفة تستظل بالحماية الانجليزية ولا تتخذ إلا القرارات التى تطمئن خلالها بريطانيا على حرية مواصلاتها نحو مستعمراتها .

٢- أو أن يكون لمصر حاكم ألعوبة فى يد بريطانيا يأتمر بأوامرها ولا يخالف سياستها .

٣- أو أن تمنع انجلترا أية قوة أوروبية من السيطرة على مصر أو يصبح لها نفوذ يعرقل مشروعات انجلترا الاستعمارية .. وكانت انظارها تتوجه نحو فرنسا منافستها الاستعمارية اللدود بشكل دائم .

٤- وأن تقف انجلترا ضد أى حكومة قوية فى مصر .. ومن ثم لا نستغرب تصديها لمحمد على ووقوفها ضد طموحاته حيث ساهمت فى تحطيم آماله فى تكوين إمبراطورية مصرية على حساب الدولة العثمانية .

٥- وإن لم تستطع انجلترا أن تحقق ذلك فإن عليها بلا أى مواربة أن تحتل مصر وتسيطر عليها بالقوة عن طريق الاستعمار المباشر .

وهكذا لم تكن أحداث الثورة العرابية هى السبب فى وقوع الاحتلال البريطانى لأن الاحتلال البريطانى كان حتما سيحدث إن عاجلاً أو آجلاً.. كما أننا ، لايجب أن ننسى أن إسماعيل عندما حاول التمرد قامت انجلترا بالدس له لدى السلطان حتى عزله فى ٢٥ يونيو ١٨٧٩ بعد ست عشر عاماً ونصف من

الحكم ، ثم انتهزت بريطانيا فرصة أحداث الثورة العرابية ورأت أنه فى ظل ظروف منافسة الإمبراطورية الألمانية الجديدة لابد وأن تضمن طريق مواصلاتها وشريانها الحيوى .

الملاحظة السادسة :

أن هناك ملاحظة جديرة بالاهتمام وهى تلك التهم الشائعة لدى البعض من أن عرابى كان يتلو الأذكار فى فجر يوم المعركة الأخيرة والحاسمة مع الانجليز ونقصد بها معركة التل الكبير- بينما قنابل الانجليز الغزاة تنهال على خيمة قيادته وهذا من المفتريات الضخمة –وقد كان لها تأثيرها –وربما مازال –على الكثير من العقول فى تقديرها لقيمة الثورة وأهميتها وليس أقل من ذلك من بشاعة بعض العناصر الاستعمارية من الإدعاء أن ثورة عرابى لم تكن ثورة .. بل كانت فوضى .. وقد انساق لهذه الفرية بعض المتحذلقين تقربا للأسرة المالكة العلوية وقت أن كانت تحكم .. فقد حاولت هذه الأقلام تصوير أن هذه الوثبة الوطنية الضخمة لم تكن إلا مجرد هوجة .. والبعض قال أنها عصيان وألصقوه باسم عرابى .. وهنا تظهر خطورة هذا الرأى لأنه يريد أن يسلب حركة وطنية من مضمونها وثورة شعبية حقيقية يريد تفريغها من أهدافها .. إن الخطر الأكبر على مستقبل الشعوب هو الاستخفاف بماضيها ومحاولة محو تاريخها .. تماما كما حدث فى ظل النفاق الذى سيطر على بعض الأقلام والمفكرين فانساقوا بلا موضوعية إلى الإدعاء أن تاريخ مصر بدأ منذ سنة ١٩٥٢ بقيادة ثورة ٢٣ يوليو .. وأن ما قبل ذلك كان عبثاً وخطيئة لا يجب تذكره .. ولما وقعت الواقعة بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر قام الانتهازيون والمنافقون بحذف تاريخ محمد نجيب وأصبح تاريخ الثورة فى عرف هؤلاء يبدأ من ولاية عبد الناصر .. ثم جاءت أحداث ١٥ مايو ١٩٧١ وحاول الكثيرون لصق كل جرم وإثم وخطيئة لحكم عبد الناصر دون ذكر لمحاسن عمل واحد أداه .. ونفس الطريق بدأوا فى السير فيه بنسيان السادات وأصبحت الذكرى بالنسبة له مهزوزة فى ذاكرة المصريين .. ولا ندرى ماذا سوف يأتى به الغد .

ويكفى هنا أن نقول عن عرابى أنه لم يكن يخطو خطوة واحدة بدافع الطمع الشخصى وقد تجلى ذلك فى حرصه الشديد ، الذى هو من صفات الزعامة

الصادقة ، على قضية مصر وهى فى محور اهتمامه أن يرد على كل مطعن كان يوجه إلى تلك القضية دون أن يعتنى قليلاً أو كثيراً بما يقال عن شخصه .

مصر قبيل نشوب الثورة العرابية

لقد كان سقوط نظام محمد على بداية مرحلة غزو رأس المال الاجنبى لمصر ولعل الخطيئة التى تسببت فيها سياسة ذلك الحاكم المستنير .. تركزت فى حرمانه لرأس المال الفردى أن يأخذ مكانته ، وجاء نظام الصناعة الحكومى ليقضى على النقابات الحزبية والطائفية بحيث ينتج عن هذا كله –بالإضافة إلى حظ مصر العاثر فى أن يتولى حكمها بعد محمد على إما جاهل أو مغرور أو فاسد –أن اصبحت الساحة خالية أمام الظاهرة الاستعمارية لتجد فى مصر حقلاً خصباً ترتع فيه .. وبدأت مصر تعانى ووضحت جيداً صورة الاستغلال الذى تواكب مع تأسيس مجموعة من البنوك الأجنبية فى مصر.

وكانت قمة المأساة فى سيطرة الجاليات الأجنبية وقناصلهم على السلطة التشريعية فى مصر مستغلين العقدة النفسية التى وجدت عند عباس الأول (الذى حكم مصر ١٨٤٩-١٨٥٣) والتى ترسبت نتيجة وقوف الدول الكبرى أمام جده محمد على باشا .. فإنهارت كل القيم السياسية لديه واهتزت المواقف أمام ناظريه .

وتجئ العقدة عند سعيد باشا (١٨٥٣-١٨٦٢م) من انحيازه للفرنسيين الذين تربى فى بلدهم وكانت له صداقات تربطه ببعض شخصياتهم وينساق لهم فيقدم كل الشروط المطلوبة والمجحفة بحقوق مصر عند توقيعه اتفاقية حفر قناة السويس .

وتجئ عقدة اسماعيل باشا (١٨٦٣-١٨٧٩) من محاولته اللعب على الحبال يستغل فرنسا لمقاومة انجلترا ويستغل الحركة الوطنية للحكم الديكتاتورى ثم يستغل الأهالى للحصول على دين المقابلة ويستثمر شروط الفرمان الشامل الذى حصل عليه برشوة السلطان العثمانى وصدره الأعظم (رئيس وزراء الدولة العثمانية) .. توسع اسماعيل فى عقد القروض دون أن يدرك حقيقة مايدور

حوله من أطماع وانفق الكثير من الأموال على بناء القصور .. واحياء الحفلات وينتهى الموقف بما يشابه اعلان مصر افلاسها وسيطرة الأجانب على اقتصادياتها ببعثة بريطانيا يرأسها "كيف" الانجليزى لتنظيم الاقتصاد المصرى .. ثم ينتهى الموقف بالاستعانة بوزيرين احدهما انجليزى للمالية والثانى فرنسى للأشغال وذلك لمراقبة الميزانية المصرية .

وأخيراً ينتهى الأمر بعزل اسماعيل فى ٢٥ يونيو ١٨٧٩ ويتولى بعده ابنه محمد توفيق فى اليوم التالى ٢٦ يونيو وكان احساسه بالدور الذى لعبته انجلترا فى خلع أبيه سببا كبيراً فى انكماشه كحاكم .. إلى جانب شخصية توفيق ذاتها وهى التى تشبه إلى حد ما شخصية لويس الـ١٦ فى تاريخ فرنسا .

فتوفيق كان إنهزامياً بطبيعته .. سلس القيادة للأجانب .. يحب السلطة والعرش أكثر من حبه لمصر .. لا مبادئ له سوى التواجد فى الحكم ولو على حساب كل القيم والمبادئ .

وقد كان مثلاً سيئاً لحاكم فى نهاية القرن الـ ١٩ ولسوء حظ مصر أن يوجد فيها هذا الحاكم على عرشها فى وقت كانت الظاهرة الاستعمارية قد بدأت تستشرى بشكل لا مثيل له وهكذا يمكننا أن نقول :

" أن مصر نجحت فى ظل حكم محمد على أن تغلق السوق المصرية أمام الرأسمالية العالمية ولكن الدول الأوروبية تكتلت ضده لتقضى على نظامه الاقتصادى .. وفى عهد خلفاء محمد على أجبرت مصر على اتباع سياسة الباب المفتوح" .

وبدأت ذئاب الرأسمالية العالمية تضع أقدامها فى مصر منتهزة فرصة خلو مصر من أى جهاز إدارى قادر على حمايتها .

كما أن نظام الحكم الأوتوقراطى فى عهد خلفاء محمد على سهل عليها (أى على هذه الرأسمالية) المهمة .. تلك الأسرة التى كانت تعتبر مصر ضيعة خاصة بها .

ولم تكن عملية الحصول على مشروع إقتصادى فى مصر تعتمد على الكفاءة والقدرة على الانجاز أو فائدة مصر وإنما ارتبطت بالعلاقات بالأسرة المالكة .. أو كان صاحب المشروع يعرف الوالى منذ الطفولة أو تربى فيها .. فالقادر على الحصول على ترخيص لمشروعه كان من هو قريب من كبار موظفى الحكومة أو

له مقاول يسهل مهمته بالرشوة وليس أدل على ذلك من القول أن الحكومة المصرية والشعب المصرى قد تحملا مغارم شق القناة وبدلاً من أن تكون القناة لمصر أصبحت مصر للقناة .

مقومات وأسباب الثورة العرابية

تعلمنا من دروس التاريخ أن الشعب الأصيل الذى يعانى كثيرا لا يسمح له ضميره بأن يؤذى الضعيف نفس الأذى الذى عانى منه . وأن مسيرة التحرير فى جوهرها هى رفض الخضوع للسيطرة الأجنبية وأنه لا توجد فى العالم كله قيمة سامية تفوق الدفاع عن الوطن وحمايته والذود عن حريته واستقلاله .

لا نستطع أن نفهم حركة الثورة العرابية دون أن نضع تصوراً عاماً للمقدمات التى خلقت الدوافع اليها ، كذلك لا يمكن تحليل هذه الظواهر التى أدت لأول مرة إلى تضامن كل الطبقات المصرية فى البداية ثم إلى تطاحنها وانحياز جزء كبير منها إلى السلطة الحاكمة إلا لو فهمنا المناخ الذى كانت متأثرة به هذه الطبقات لا يمكننا دراسة حركة الردة التى جعلت معظم قيادات الثورة العرابية تعلن عن خطئها وتناشد الأسرة المالكة العفو ، ولعل ذلك كان واضحا بعد فترة المنفى الطويلة التى استمرت ١٩ عاما فى " سيلان " حيث نجد مثلا محمود فهمى باشا أعظم مهندسى الاستحكامات العسكرية فى مصر فى ذلك الحين يقول عنها (أى عن الثورة) أنها كانت ثورة مشئومة والشيخ محمد عبده يعلن توبته عن العمل السياسى بعد مشاركته فى الثورة بل أن محمود سامى البارودى يكتب شعرا يدين الثورة .

ومن أجل كل ذلك سوف نعرض معاً لأسباب ومقومات الثورة .

الأسباب الفكرية للثورة :

من الجدير بالذكر أنه منذ الفتح العثمانى توارت اللغة العربية كلغة رسمية لمصر وأصبحت اللغة التركية هى اللغة الرسمية التى تكتب بها إلى أن جاء سعيد باشا فقرر أن تصبح اللغة العربية هى اللغة الرسمية فى مصر .

وكما تعلمنا فإن الثورة لا تقوم نتيجة للظلم بل نتيجة للشعور بالظلم وبالتالى لا يمكن أن تقوم ثورة دون أن يمهد لها فكريا .

لقد كان لنمو الصحافة الأهلية فى السبعينيات التأثير الأكبر على زيادة

الوعى القومى فى مصر وكان لظهور جمال الدين الأفغانى وقدومه إلى مصر السر الكبير فى تحريك الكثير من عوامل اليقظة بالنسبة للشرق عموماً ، صحيح أن عرابى شخصيا لم يتتلمذ على يد جمال الدين الأفغانى ولم تتح له الفرصة لحضور بعض جلساته الثقافية والفكرية لكنه بلا شك قرأ له الكثير مما أعطاه " الحمية الوطنية " وقد تأثر عرابى نفسه خلال تواجده فى الأزهر (حيث درس فيه لمدة عامين) بالشيخ محمد عبده وبأفكاره وكذلك بالشيخ حسن الطويل أحد مشايخ الأزهر الأحرار .

وكان لتشكيل مجلس النواب المصرى لأول مرة تحت اسم مجلس شورى النواب فى نوفمبر سنة ١٨٦٦ الأمر الكبير فى نمو الوعى القومى ، وقد اجتمع هذا المجلس فى ١٩ نوفمبر من هذا العام ورغم حدود سلطاته إلا أنه برهن على أن المصريين عندما تتاح لهم الفرصة لحكم أنفسهم بأنفسهم فإنهم قادرون على تحمل المسئولية .

وكان لعبد الله النديم وقدراته الأدبية وأسلوبه الساخر وجماهيريته العريضة الأثر الكبير فى تحريك الرأى العام المصرى نحو الثورة ، وآمن عبد الله النديم أن الطريق السليم للإصلاح هو التنبيه للرأى العام وتبصير الشعب بما يدور حوله فتتسع الدائرة ويصبح العمل جماعيا ومن ثم لا يستطيع ظلم أن يقف فى الطريق ولا استبداد أن يمنع تيار الاصلاح الوطنى ، كما ظهرت أيضاً فى عام ١٨٦٦ أول جريدة مصرية عربية سياسية هى جريدة " وادى النيل " وكانت تصدر بدون مساعدة الحكومة لها وقد رأسها عبد الله أبو السعود وظهرت بعد ذلك صحيفة " نزهة الافكار " –التى أنشأها ابراهيم المويلحى وعثمان جلال الصحفيان المصريان –بعد " وادى النيل " بثلاث سنوات . وفى سنة ١٨٧٨ تشكلت فى مصر أول وزارة مسئولة وهذه السنة يؤرخ بها تاريخ الوزارات المصرية (٢٨ أغسطس) وقد رأسها أرتين نوبار باشا ولم يعد مجلس النواب المصرى موضع سخرية من الجماهير .

وكان للانطلاقة التعليمية فى عصر إسماعيل الأثر الكبير الذى جعل مصر " قبلة " المفكرين وكعبة المضطهدين وملاذ الباحثين عن الحرية وكان طموح إسماعيل فى أن يجعل مصر قطعة من أوروبا له وجهان أحدهما سلبى والآخر

ايجابى أما الإطار السلبى فهو اتاحة الفرصة للتغلغل الأجنبى لمحاولة السيطرة على مصر أما الاطار الايجابى فهو أن الاحتكاك بالحضارة الغربية كان له تأثير كبير على انتشار المزيد من الأفكار عن الحرية والوطنية والعزة القومية .

الأسباب الاقتصادية للثورة :

كانت الأسباب الاقتصادية تمثل نصيبا هاما فى عوامل قيام الثورة العرابية ، ذلك أن الاقتصاد المصرى أثناء النصف الثانى من القرن الـ ١٩ قد تعرض لعدد من التغيرات الأساسية فقد أدى ارتفاع أسعار القطن نتيجة للحرب الاهلية الامريكية (١٨٦١-١٨٦٥) (١) الى ارتفاع سعر القطن المصرى نظرا للطلب المتزايد عليه من المصانع الانجليزية وأدى ذلك إلى إرتفاع صادرات مصر من القطن خلال هذه الحرب إلى أربع مرات عما كانت عليه (ارتفعت من نصف مليون قنطار سنة ١٨٦٠ إلى مليونى قنطار سنة ١٨٦٥) ولكن بانتهاء هذه الحرب حدث انكسار فى أسعار القطن المصرى مما أدى إلى زلزال هدد الاقتصاد المصرى وأحدث تاثيرات سلبية عليه .

وكان الاستغلال الذى مارسته جموع الأوروبيين الوافدين إلى مصر سواء على الأهالى أو الحكومة سببا فى التذمر الشعبى داخل النفوس وفى أبريل سنة ١٨٧٦ وصل الدين الخارجى إلى حوإلى ٦٨ مليون جنيه استرلينى والدين الداخلى إلى ٣٠ مليون جنيه استرلينى وتوقف اسماعيل عن دفع أقساط الديون وتحت ضغط الدائنين الأوروبيين الذين أرادوا ضمان استحقاقاتهم أنشىء صندوق الدين العمومى وعين مندوبون للدول لتسلم الايرادات وضمان سداد الأقساط .

وشاءت الاقدار السيئة التى ضاعفت من بؤس الفلاحين أن تصاب مصر بمجموعة من الكوارث منها انخفاض منسوب فيضان النيل سنة ١٨٧٧ وفى العام التالى إنتشار وباء الطاعون بين الماشية ، وأثر ذلك بلا شك على المحاصيل الزراعية وحدثت مجاعة أودت بحياة الالاف من الفلاحين .

لقد كانت مصر بلا جدال قبيل نشوب الثورة العرابية تنزف دما .. كان شعبها يساق من خلال السخرة بواسطة الحكومة وكبار الملاك ، وأخطر ملحمة مأساوية

١) قامت هذه الحرب فى الولايات المتحدة نتيجة لمحاولة الولايات المتحدة الجنوبية العنصرية الانفصال عن الولايات الشمالية وخلال نشوب الصراع توقف تصدير القطن الأمريكى طويل التيلة إلى أوروبا مما زاد فى الأقبال على المنتج المصرى منه .

عانى منها الشعب هى عملية حفر قناة السويس .

لقد كان الضغط المستمر على الأهالى لدفع الضرائب وبشكل غير قانونى سببا فى تذمر الشعب واندفاعه نحو الثورة .

ولو لم تقم ثورة عرابى لقامت الجماهير بالثورة لأن الشعب المصرى فى لحظات الانهيار وخلال طريق اليأس لا يجد أمامه بعد نفاذ الصبر إلا الثورة مهما كان الثمن الذى يدفع فيها .

الأسباب السياسية للثورة :

يمكن أن تقسم الأسباب السياسية لقيام الثورة العرابية إلى ثلاثة أنواع من الأسباب:

١- أسباب متعلقة بالشرف الوطنى والكرامة والعزة والسيادة فى مواجهة التغلغل الأجنبى فلقد كانت الثورة العرابية هى الرد المصرى الذى كان يهدف إلى وقف التغلغل الاجنبى الأوروبى لمصر .

وبمعنى أدق يمكن أن يقال أن الثورة العرابية كانت فى حالة انفجار فى مواجهة الغزو الاجنبى الرأسمالى لمصر والذى تم بطريق سلمى وتدريجى من الناحية الظاهرية ولكنه لم يتأصل إلا من خلال استغفال الحاكم واستغلال المحكومين وظهر ذلك فى الامتيازات الأجنبية . هذا إلى جانب التدخل الأوروبى من جانب انجلترا وفرنسا فى شئون الحكم إلى حد أن كان لكل منهما وزير فى الوزارات المصرية التى تشكلت منذ أواخر عصر إسماعيل

٢- أسباب متعلقة بالحياة الدستورية والنيابية للقضاء على الحكم المطلق ، ذلك أنه منذ محاولات الخديوى توفيق القضاء على التجربة النيابية المصرية وعلى الافكار الجديدة نحو تواجد الوزارة المسئولة ثم ميل توفيق للحكم المطلق وعدم انصياعه للأفكار الجديدة واصداره قانون المطبوعات سنة ١٨٨١ وميله إلى الاستبداد بشئون الحكم دون رأى أو مشورة وعدم اعترافه بالقيم الدستورية أى أن جوهر الأزمة السياسية هو غياب الحكم الديمقراطى .

ولذلك حددت الثورة العرابية لنفسها المطالبة بالدستور وبالحكم النيابى

الحقيقى لا الشكلى كهدفين اساسيين من أهدافها .

٣- أسباب متعلقة بالتفرقة العنصرية فى المعاملة وفى الاستئثار بمصالح فردية على حساب مصر والمصريين .

فالطبقة المصرية الجديدة التى بدأت تنمو مع نمو الحضارة وحركة التقارب مع الغرب والتحديث الذى أوجد جماعات جديدة تتوق بعد أن حصلت على الثروة إلى الوصول للسلطة وهؤلاء وجدوا من الطبقة التركية والشركسية والألبان والأرناؤط سدا منيعا بينهم وبين تطلعاتهم وبالتالى كانوا فى انضمامهم للحركة الوطنية يريدون إحداث تغيير فى التركيب السلطوى فى المجتمع وبمجرد أن لاح لهم أن أمانيهم على وشك التحقق تركوا الثورة فى منتصف الطريق وهم أصلا لم يكونوا مؤمنين بالثورة بل ركبوا الموجة ليحققوا أهدافهم .

الأسباب العسكرية :

وإذا ما أضفنا إلى الأسباب السابقة حالة الجيش المصرى والأزمات التى كان يعانيها سواء من انقسامه إلى جبهتين جبهة الأغلبية المكونة من المصريين وجبهة الأقلية المكونة من الأتراك الشراكسة وهؤلاء تحكموا فى المصريين وسرقوا منهم المناصب واستغلوهم دون كفاءة أو قدرة أو علم أو ثقافة ولكن كان وضعهم المتسلط بسبب انتمائهم إلى الأسرة الحاكمة التى لم تكن تثق فى العنصر المصرى.

هذا إلى جانب الإهمال الشديد من جانب توفيق لعدد القوات المسلحة إلى درجة أن نقص عدد الجيش إلى أقل من ١٨ ألف جندى وهو العدد المقرر له فى الفرمانات السلطانية ، وبدأ الاستياء يعم رجال الجيش وتطور استياء هؤلاء إلى مظاهرة عسكرية .

الفصل الثالث
أحداث ومعارك الثورة العرابية

كان إسماعيل يغترف المال من الخزانة العامة ليرضى أهواءه الشخصية وليسد أفواه الطامعين الملتفين حوله . فكم من فرنسيين وايطاليين وانجليز كانوا تعساء فى بلادهم خارجين عن القانون ملفوظين من المجتمع حصلوا بعد أن هبطوا إلى مصر على الرخاء والنعيم وكم من أناس جاؤا من اوروبا مثقلين بالديون فما كادوا يستقرون فى القاهرة ويأوون إلى أحدى قاعات الانتظار فى سراى عابدين حتى صاروا طفرة من أصحاب الملايين .

ويحكى لنا التاريخ أن اسماعيل المفتش (أخ الخديوى اسماعيل فى الرضاعة) وزير مالية الخديوى كان عاملا لاستحلاب الأموال من المصريين ولقد جاء فى تقرير مستر " كيف " عضو البرلمان الانجليزى الذى جاء إلى مصر –بناء على طلب الخديوى اسماعيل –لفحص حالتها الاقتصادية ، ذلك التقرير الذى أستغرق وضعه شهرين جاء فيه ، " تشكو مصر من الجهل والاهمال والتبذير وتشكو كذلك من كثرة النفقات التى سببها انجاز مشروعات اصلاحية ولكنها انجزت بسرعة وبدون دراسة " .

ولقد بدأ التدخل فى الشئون المصرية بعجز مصر عن سداد ديونها فتذرعت الدول الأوروبية بذلك وعلى رأسها انجلترا ، وأخذت تضع العراقيل فى وجه اسماعيل وخاصة بعد أن استنفدت منه أغراضها إذ سلم لها بأكثر طلباتها وقبل ادخال وزيرين اوروبيين فى الوزارة المصرية .

وهكذا يعلمنا التاريخ أن أى حاكم يفرط فى حقوق بلده تحت أى ضغط استعمارى أو نفوذ أجنبى حفاظا على التمسك بالكرسى ظانا بذلك أنه قد آمن على عرشه سرعان ما يغدر به المستعمر ويطيح بسلطانه لأنه أصبح غير قادر

على منحها شيئا تطمع فيه ويصبح من مصلحتها تغييره ليأتى غيره يمكن أن تحصل منه على المزيد مما تريد .

ولقد أوعز اللورد " سلسيورى " إلى الحكومة الألمانية فأرسلت هذه النصيحة على شكل مذكرة إلى مصر كما قدمت فرنسا مذكرة أخرى على لسان السير " فرنك لاسلسى " ممثل فرنسا فى مصر جاء فيها :-

" أن الحكومة الفرنسية والحكومة الألمانية أتفقتا على أن تنصحا لسموكم بالتنازل عن منصب الخديوية ومبارحة مصر " وهكذا يتضح أن التدخل الأوروبى، ورأس الحربة فيه انجلترا ، بدأ يتضح منذ أوائل أغسطس سنة ١٨٧٧ ، وأخذ شكلا حاسما فى مايو ١٨٧٨ وبلغ حده الأقصى بخلع اسماعيل ونفيه عن مصر فى ٢٥ يوينو سنة ١٨٧٩ وقد علق عرابى على عزل اسماعيل وطرده من البلاد بقوله :-

" انتهت مدة إسماعيل باشا وهى سبع عشرة سنة كانت وبالا على المصريين لشدة نزقه وطمعه وسوء تصرفه وعدم إنصافه ولم أر فيها خيرا ولا ترقيت رتبة فى عهده ولقد تحملت مدة ولاية اسماعيل الجائرة بكل صبر وثبات تحت ضغط الظلم والاستبداد ومكثت برتبة القائمقام مدة ١٩ سنة أنظر إلى صغار الضباط الذين كانوا تحت ادارتى فى عهد سعيد باشا وهم يترقون دونى فترقى بعضهم إلى رتبة الأميرالاى وبعضهم إلى رتبة اللواء وبعضهم إلى رتبة الفريق لا بعلم علموه من دونى ولا بفهم خارق للمادة ولا بشجاعة ابرزوها فى ميادين القتال ولكن لكونهم من مماليك أو أبناء مماليك العائلة الخديوية .

ولا جدال فى أن الثورة العرابية كانت نتائج تفاعلات التطورات الداخلية فى مصر ومن هنا فهى بحق يمكن أن تعتبر أهم حدث الم بمصر بعد الحملة الفرنسية وبعد ولاية محمد على وفتوحاته ، وخلال هذه الفترة تبلورت شخصية مصر تماما ولكن لم تدرك هذه الثورة أبعاد ما أحاط بها من دسائس داخلية ومؤامرات تدبر لها من الخارج كما أن زعمائها وفقا لظروفهم لم يكونوا بنواياهم الطيبة يملكون من الملكات الشيطانية ما يجعلهم واعين باصبع الشيطان القادم من أوروبا للانقضاض على مصر .

كما أن الثورة العرابية كانت ثورة الجيش والشعب فقد كانت ثورة كل طبقات

الشعب شارك فيها الأعيان من المصريين وكبار الملاك لخديعتهم فى ضريبة المقابلة ولزيادة الاعباء عليهم بالإضافة إلى حرمانهم من السلطة التى كانوا يتطلعون إليها بهدف المشاركة فى الحكم ، وكانت الطبقة التركية تقف سدا حائلا بينهم وبين ذلك ، كما شارك فيها أفراد الطبقة الوسطى من التجار والمهنيين وكان ضمن الطبقة الوسطى فئة المثقفين فقد ساهم فى التمهيد لها جمال الدين الافغانى ومحمد عبده وعبد الله النديم ورجال الصحافة وكان المثقفون المصريون هم الذين صنعوا برامجها وخططوا لها كما أنها كانت ثورة الموظفين ويكفى أن نقول إن عدد الموظفين الأجانب فى مصر فى مارس سنة ١٨٨١ كان لا يقل عن ١٢٥٥ موظفا بلغت مرتباتهم ما يقرب من نصف مليون جنيه مصرى بينما كان عدد الموظفين المصريين ٩٢٠٠ موظف لا تتجاوز مرتباتهم ربع مليون جنيه مصرى وكان المثقفون فى مصر يدركون أن مستقبلهم مرتبط بالالتحام بالثورة من أجل حياة أفضل لهم .

ويضاف إلى هذه الحقيقة أن الثورة العرابية كانت ثورة الوحدة الوطنية فبرنامج حزب الثورة كان سياسيا لا دينيا وكان رؤساء الأقباط يشجعون الاقباط على التبرع للثورة والاشتراك مع ذوى أهلهم من المسلمين بصفتهم جميعا مصريين يدافعون عن الوطن .

وبعد فإن أحداث الثورة العرابية تبدأ بمجموعة من الحوادث تتراكم حتى تشكل فى نهايتها ذلك النسيج الذى عرف فى التاريخ المصرى باسم الثورة العرابية أول هذه الأحداث هى :

مظاهرة ١٨ فبراير ١٨٧٩ :

لقد سبقت هذه المظاهرة عدة وقائع أدت إليها ولعل بداية هذه الوقائع هو تواجد المراقبة المالية التى شكلت بناء على تقرير المستر كييف والتى كان يرأسها موظف انجليزى وكان هدف هذه المراقبة هو أن تحصل هذه المراقبة على أكبر قدر من الاموال من الأهالى وتفننت فى ابتداع الوسائل لتحصيل الضرائب ففرضت ضريبة السخرة وسيق آلاف المصريين كقطعان الماشية للعمل تحت لهيب السياط وقد أشتد التذمر الشعبى لعدم صرف مرتبات موظفى الحكومة ولطرد عدد كبير من الموظفين الوطنيين لتستخدم بدلا منهم موظفين أوروبيين ، ثم رأت الرقابة أن

إحالة عدد كبير من ضباط الجيش قد يوفر بعض الأموال فصدر قرار من حكومة نوبار بإحالة حوالى الفى وخمسمائة ضابط إلى الاستيداع فى فبراير سنة ١٨٧٩ دون أن تدفع لهم رواتبهم المتأخرة لمدة عشرة أشهر سابقة وطلبت الوزارة من جميع الضباط المسرحين ان يأتوا إلى القاهرة لتسليم أسلحتهم فأنتهز هؤلاء الضباط فرصة تجمعهم فى القاهرة وقاموا بصحبة بعض أعضاء مجلس شورى النواب وبعض الموظفين المطرودين المدنيين بمظاهرة فى ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ توجهت إلى قصر النيل حيث كان مقر رئاسة الوزراء وجاء نوبار رئيس الوزراء وولسن الوزير الانجليزى حيث أهانهم المتظاهرون اهانات بالغة وقامت مجموعة الضباط بضرب نوبار علقة ساخنة حيث اوسعوه لكما وضربا وكاد الحادث يتطور لولا تدخل الخديوى اسماعيل بنفسه الذى أسرع عندما بلغ بالحادث إلى مكانه حيث قام بتهدئة الضباط ووعدهم خيرا .

ولكن أهم نتيجة لهذا الحادث هى اتهام عرابى بتدبيره .. رغم بعده وعدم اشتراكه فيه ، وتمت محاكمته هو وعلى الروبى ومحمد النادى امام مجلس عسكرى فوق العادة وكانت العقوبة هى التوبيخ إلى جانب إبعاد كل من عرابى والنادى إلى الاسكندرية وإبعاد على الروبى إلى المنصورة .

اللائحة الوطنية :

تلت مظاهرة فبراير سنة ١٨٧٩ أحداث تتعلق بظروف مصر الداخلية نذكر منها أن الضباط لم يرضوا بما حدث لعرابى وأصحابه بعد تلك المظاهرة وبدأ الرأى العام المدنى والرأى العام العسكرى يلتقيان فى عدة روافد فى ٢ أبريل سنة ١٨٧٩ أجتمع عدد كبير من المدنيين المصريين من أصحاب الرأى والزعامات الدينية الثلاث شيخ الاسلام وبطريرك الأقباط وحاخام اليهود مع بعض الضباط وبعض أعضاء مجلس شورى النواب وأنضمت لهم مجموعة من التجار والموظفين المصريين وصمموا على أنه قد آن الأوان لتحديد دور الحاكم وأن مصر فى أمس الحاجة إلى دفع النفوذ الاجنبى بعيدا عن أرضها وسعوا جميعا لمواجهة استبداد " رياض " والمطالبة بحقوقهم ، وانتهى الأمر فى هذا الاجتماع إلى وضع لائحة وطنية طالبوا فيها بالآتى :

١- تأليف وزارة مصرية وطنية خالصة .

٢- تقرير مبدأ المسئولية الوزارية أمام مجلس النواب .

٣- عدم اعلان افلاس البلاد ووضع برنامج لتسوية الديون .
٤- وضع دستور وطنى لمصر .
٥- تكوين مجلس نيابى مستقر .

وقد وافق اسماعيل على كل ما جاء باللائحة الوطنية وفعلا تكونت وزارة من شريف باشا وبدأت فى وضع دستور يحقق المطالب الشعبية وكان ذلك يعنى وقف التدخل الأجنبى وإبعاد النفوذ الفرنسى والبريطانى عن مصر .

وكادت الثورة فى طورها الأول تحقق أهدافها ولكن البلاد فوجئت بعزل اسماعيل تحت تاثير التدخل الأوروبى لدى الاستانة والتى كان سلطانها انتهازيا ومستعدا لاتخاذ هذه الخطوة بشغف وولاية ولده محمد توفيق .

وبمجىء توفيق الحكم كان الأمل كبيرا فى اصلاح الامور ونجاح المقاصد الشعبية ولكن توفيق ومن معه اساؤا إلى مصر واضاعوا استقلالها وان كانوا لم يفلتوا من حكم التاريخ عليهم وعقاب السماء لهم .

تحالف الشياطين :

كانت أول خطوة خطاها توفيق بعد ولايته الحكم هى أنه بعد عشرة أيام فقط (أى فى ٦ يوليو ١٨٧٩) اصدر قرارا بفض مجلس شورى النواب وازداد فى عهده التغلغل الأجنبى بشكل لا مثيل له ورفض توفيق بالطبع مشروع الدستور الذى تقدم به اليه محمد شريف باشا ولم يلبث شريف أن استقال فشكل توفيق بنفسه الوزارة ثم لم يلبث أن حكم مصر حكما مطلقا وخضعت مصر لما يمكن أن نسميه مصالح القناصل وبالذات الانجليزى والفرنسى اللذان أتفقا على عدم الصراع لحين أن يسقط العدو المشترك لهما وهو الحركة الوطنية .. ثم لم يلبث أن تولى الوزارة محمد رياض الذى بدأ حكمه بالتنكيل بالحركة الوطنية فصادر الصحف التى كانت تناوىء النفوذ الأجنبى وادار البلاد عن طريق اعتقال الاحرار ونفيهم ويتعاون فوق ذلك مع المراقبة المتتالية على حساب مصالح الأهإلى وظل توفيق يتذكر دائما أن الأجانب هم الذين عزلوا أباه ولذلك غالى فى استرضائهم .

وهكذا تحالف النفوذ الأجنبى والحكم المطلق والاستبداد من الحكومة ضد الحركة الوطنية الأول مارسته بصفة خاصة انجلترا وفرنسا والثانى تمتع به

الخديوى والثالث كان على رأسه رياض باشا فكان تحالف الشياطين لتمزيق جسد الشعب المصرى بسياط الظلم والقهر الاجتماعى .

ميثاق ١٦ يناير ١٨٨١ :

كانت البلاد فى حاجة إلى زعيم يقود الحركة الوطنية بعد أن صفى رياض باشا أنواع النشاط الوطنى السلمى وكان الجيش بالطبع هو أشد الهيئات تأثراً بالأحداث التى تدور وكان هناك مؤامرات لضرب الحركة الوطنية من خلال ضرب الضباط المصريين وجنود الجيش المصرى ومن ثم بدأت تتوإلى الاجتماعات بعد قرارات يوليو ١٨٨٠ وصمم الضباط على عدم السكوت على ما يدور وبالذات من تصرفات عثمان رفقى وكان هدفهم اختيار من يمثلهم لرفع عريضة تعبر عن شكاوهم تجاه ما يعانون منه وفى ١٦ يناير سنة ١٨٨١ أجتمع فى بيت عرابى مجموعة الضباط الأحرار يسيرون خلفه لعرض مطالبهم وتقديم مذكرة بأسمائهم وقد حضر هذا الاجتماع كل من على فهمى الديب قائد الحرس الخديوى ، عبد العال حلمى ، أحمد عبد الغفار وعلى الروبى ومحمد عبيد وفى هذا الاجتماع قال الضباط .. انًا فوضنا اليك هذا الامر فليس فينا من هو أحق به وأقدر عليه منك .

قال عرابى : " كلا بل أنظروا إلى غيرى وأنا أسمع له وأطبع وأنصح له جهدى" .

قال الضباط " أننا لا نبغى غيرك ولا نثق الا بك " فقال لهم ان الأمر عصيب ولا يسع الحكومة قتل من يتصدى له فقالوا " نحن نفديك ونفدى الوطن العزيز بأرواحنا " .

حادثة قصر النيل :

رجلان على النقيض كانا هما محور حادث قصر النيل الأول متعصب شركسى جاهل دفع برعونته إلى أن يقضى على تفوق العنصر التركى وإلى انقسام البلاد بشكل لا مثيل له والقصد به عثمان رفقى ، كان يعمل ناظرا للجهادية أى وزيرا للحربية وقد أصدر ثلاثة قرارات كانت سببا مباشرا فى وقوع حادثة قصر النيل:-

١- قانوناً يتضمن عدم ترقية أى صف ضابط من المصريين إلى رتبة ضابط .
٢- أن تقتصر ترقية المصريين حتى رتبة بكباشى وأن تكون رتبة الترقية الاستثنائية لهم حتى رتبة القائمقام .
٣- اصدار قرارا بإحالة عبد العال حلمى على ديوان الجهادية بوظيفة معاون وكان عمره يومئذ ٤١ سنة وعين مكانه ضابطا شركسيا أسمه خورشيد .

أما الرجل الثانى فهو احمد عرابى والذى بلغته هذه القرارات ظهر عليه الغضب الشديد وقال :

" لن يقوى عثمان رفقى باشا على تنفيذ هذه الأوامر بل لن يقوى على اضطهاد المصريين بعد اليوم ، وبعد أن أجمعت جماعات الضباط على اختيار عرابى زعيما لها وناطقا باسمها ، طلب عرابى ورقة وجلس بنفسه إلى مكتب فى منزله عقب ذلك الاجتماع وكتب عريضة إلى رياض باشا تتضمن ثلاثة مطالب هى عزل ناظر الجهادية واجراء تحقيق فى كفاءة من ترقوا حديثا من الضباط الشراكسة وثالثها تعديل القوانين العسكرية .

ووقع معه على هذه العريضة على فهمى وعبد العال حلمى فى ١٥ يناير سنة ١٨٨١ ، فدعاهم رياض باشا رئيس مجلس النظار لمقابلتهم وحاول رياض أن يقنع عرابى وزميليه بالعدول عن تقديمها ولكن أصر الضباط على تقديم العريضة ووضح أن الاتراك غير راضى عن العريضة كما أن رياض شم رائحة من جانب توفيق أنه غير راضين عن تدخل الجيش فى أساليب الادارة ، وقد عرض رياض المذكرة على الوزارة والتى رأت ضرورة اتخاذ موقف ضد هؤلاء الضباط ومحاكمتهم أمام مجلس حربى .

الحب يغير مجرى التاريخ :

يشاء القدر أن تقع فى حب أحد أبطال الثورة العرابية وهو على فهمى فتاة تركية ذات شعر أصفر وعيون خضراء كاملة الجمال فى الوجه والقوام تدعى " بهيجة " بنت أحد كبار الضباط الشراكسة وهو اسماعيل باشا الشركسى ، ورغم أن الحب من طرف واحد إلا أن القدر شاء أن تخدم هذه الفتاة على فهمى وبذلك تنقذ زعامة الثورة العرابية مما كان يدبر لها فى ثكنات قصر النيل " مقر وزارة الحربية المصرية " وكانت المؤامرة التى يدبرها رفقى باشا هى خداع الزعماء

الثلاثة من خلال دعوتهم لزفاف الاميرة جميلة هانم شقيقة الخديوى وكان اسماعيل باشا الشركسى والد بهيجة فهمى حاضرا للاجتماع فبلغ زوجته حقيقة ما دار وقال إنه لم يستطيع الاعتراض لأن الاتجاه قوى للتخلص من عرابى وزملائه فسمعت بهيجة ذلك الحديث بين أبيها وأمها وكتبت ورقة أرسلتها مع خادمتها ومنها إلى على فهمى والذى تسلم الورقة فى دهشة ثم تحققت الانباء بعد أن جاءته دعوة لحضور حفلة زفاف أخت الخديوى حينئذ ادرك أبعاد المؤامرة ولم يكن هناك وقت لاخطار عرابى وعبد العال حلمى الا أن الوقت كان قد أزف وكان زميلاه قد سبقاه إلى ثكنات قصر النيل ولكن على فهمى استدعى البكباشى محمد عبيد وأخبره بحقيقة خواطره وفعلا اتفقا على أن يذهب مع عبيد ضابط أخر من غير حرس ليعود سريعا ليخبر عبيد بما حدث ،

ولما عاد هذا الضابط وأخبر عبيد بأن هناك محاكمة تجرى وأن الضباط الثلاثة قد اعتقلوا وجردوا من أسلحتهم وأنهم بصدد الدخول فى السجن حينئذ خرج عبيد بقواته إلى ثكنات قصر النيل وحاول خورشيد بك وكيل الحرس منعه من الخروج من ثكناته فأمر محمد عبيد بشد وثاقه وحبسه وكانت المفاجأة التاريخية التى لا يتخيلها أى روائى هى هرب الضباط الاتراك وبعضهم القى بنفسه فى النيل وقفز عثمان رفقى بنفسه من النافذة وتوجه عبيد يتبعه الضباط الشبان وأخرجوا الابطال الثلاثة من الحبس ليبدأ فصل جديد من أحداث الثورة العرابية .

المعارك السياسية للثورة العرابية

لقد ورث توفيق ضمن ما ورث الثورة .. ورث تركة مثقلة الاعباء ، خزانة الدولة مفلسة ، نظام الجيش مضطرب وطبقات المجتمع غير مستقرة من جراء ما يعانيه الفقراء من ارهاق الحكام والاغنياء من تهديد بسبب ما حصلوا عليه من مزايا وحقوق ، والأوروبيين من عدم سداد ديونهم على الحكومة .

واضطربت الأوضاع الاقتصادية حيث كسدت التجارة فى غمرة الفوضى التى عمت البلاد ، لقد كان المصريون يكرهون الاتراك . وكان الاتراك يكرهون الأوروبيين وكان هؤلاء يكرهون أنفسهم وزادت مشكلات المجتمع المصرى تعقيدا باتفاق بعض الدول الأوروبية على استغلال ظروف مصر هذه رغم تناقض مصالحها .

تبدأ المعارك السياسية للثورة العرابية بحادثة قصر النيل وتنتهى عند ضرب الاسكندرية فى ١١ يوليو ١٨٨٢ حيث تبدأ المعارك الحربية للثورة .

والذى لا شك فيه أن انتصار العسكريين فى قصر النيل قد منحهم الثقة بأنفسهم وبمقدرتهم على تغيير الأوضاع القائمة وفق ما يشاءون وكانت هذه هى النتيجة الأولى لحادثة قصر النيل .

أما المعركة السياسية الثانية فهى ذلك اللقاء التاريخى الذى تم فى ساحة عابدين فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ وهو يمثل قمة مواجهة الحركة الوطنية للخديوى توفيق .

ولكن قبل أن ندخل فى عرض واقعة عابدين يحلو لنا ذكر النتائج المترتبة على واقعة قصر النيل لأنها كانت التمهيد الطبيعى للقاء الجيش والشعب فى مواجهة الخديوى .

والنتيجة الثانية هى اعلان العديد من اعيان مصر والكثير من احرارها من المثقفين تأييدهم لعرابى وثقتهم بزعامته وقيادته وهكذا كانت حادثة قصر النيل هى التى أفرجت عن الزعيم الذى قدر له أن يقود الثورة فى مواجهة الاستبداد

والتدخل الأجنبى .

ولكن النتيجة الثالثة هى أن الخديوى بدأ يتربص بالوطنيين وأحنقه نشاط الضباط واتصالاتهم بالمدنيين من زعماء الحزب الوطنى الأهلى ، وقد زاد غضب الخديوى أن عرابى والبارودى كانا يرفضان تسخير الجنود فى حفر الترع وقام توفيق بعزل محمود سامى البارودى من نظارة الجهادية وعين مكانه صهره داود يكن .

وكان أول عمل قام به داود يكن وزير الحربية الجديد الذى عينه توفيق بدلا من محمود سامى البارودى أن أصدر أمراً بعدم اجتماع الضباط فى المنازل أو التحدث فى السياسة وفرض رقابة شديدة على الضباط الوطنيين .

وازاء كل ذلك لم يجد عرابى أمامه إلا أن يقوم بعمل كبير يكون الهدف من ورائه القضاء على انتشار الفساد ومواجهة السيطرة الانجليزية والفرنسية على العرش والتى وضح أنها كانت وراء الاطاحة بالبارودى وكانت هذه السيطرة خوفا من ضياع سلطانها اذا ما نجحت الحركة الوطنية تحرض توفيق على التشدد فى مواجهة الضباط . وادرك عرابى أنه لن تستقيم الأمور فى مصر إلا باقامة الحياة النيابية الدستورية لذلك أتفق مع زعامات الحزب الوطنى ومع زملائه فى الجيش على القيام بمظاهرة سلمية لتقديم عريضة للخديوى توفيق وهذه العريضة هى التى حملت توقيعات الجيش والشعب لتحقيق ثلاثة مطالب هى :

عزل رياض باشا ، تشكيل مجلس النواب ، أن يصل الجيش إلى العدد المقرر له فى الفرمانات السلطانية (أى إلى ١٨ ألف جندى) وارسل عرابى إلى وزير الحربية وقناصل الدول فى مصر .. يخبرهم بأمر هذه المظاهرة السياسية وموعد اجتماعها أمام قصر عابدين بعد ظهر يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ .

مظاهرة عابدين الكبرى:

ربما لم يخطر ببال الكثير من المؤرخين أن الخديوى واتباعه ومن يدورون فى فلكهم قد حاولوا منع مظاهرة عابدين بكل وسيلة ولكنهم فشلوا ولقد شنت الحكومة حربا نفسية على عرابى وزميليه (على فهمى وعبد العال حلمى) بغية أن يتراجعوا عما هم مقدمون عليه ووصل الأمر بعرابى أن أعتقد أن مؤامرة تدبر لاغتياله فى اليوم السابق على المظاهرة الكبرى فقد طرق بابه بعض " المخبرين "

من نظارة الداخلية ولكنه لم يسمح لهم بالدخول وذاعت فى كل مكان رواية تقول أن الخديوى إستصدر فتوى من شيخ الاسلام تنص على اعدام الضباط الثلاثة بتهمة الخيانة العظمى ومع أنه ثبت عدم صحة هذه الرواية إلا أن الجميع صدقها ، ويخيل للباحث المدقق أن هناك من كان يدفع لوقوع تصادم بين الخديوى والضباط حتى تصبح البلاد فى فوضى كاملة .

وتحت ضغط الضباط الشراكسة والخديوى نفسه لفق ١٩ ضابطا من الشراكسة بعض التهم ضد قائدهم القائمقام عبد العال حلمى ولما أجرى تحقيقا وضح أن كل التهم ملفقة ولا تقوم على أساس فتقرر فصل هؤلاء الضباط جميعا ولكن الخديوى أعادهم إلى مراكزهم بعد قليل فثار عرابى وزملاءه وأعتقدوا أن الخديوى كان يرمى إلى تحريض الضباط على المرؤسين لهم للتمرد عليهم .

والواقع أن الخديوى ومن معه كانوا يريدون محاكمة عرابى وزميليه بسبب أية أخطاء قد يقعون فيها نتيجة لتصرف أحمق منهم ، كما أن القنصلين البريطانى والفرنسى كانا يودان أن تصل الحركة الوطنية إلى طريق مسدود حتى يتمكن الخديوى من ضرب ضربته فيجهز على الثورة فى المهد . ولا تضيع عليهما أحلامهما فى استمرار السيطرة .

وازاء كل هذه الظروف لم يجد عرابى وأصحابه لتأمين حياتهم وتحقيق استقرارهم إلا أن يقوموا بهذه المظاهرة وكما قال السيد ادوارد مالت قنصل انجلترا فى مصر فى ذلك الحين فى خطاب له إلى اللورد جرانفل :-

" وكانت الأمة تحوط عرابى الذى كانت تعتبره رمز امانيها القومية بعين رعايتها فرأت فى تلك الظروف الصعبة أن تقوى مركزه فانابته عنها رسميا وزودته بتوكيل شامل أمضاه جميع أعيان البلاد سرا وفوضت اليه الأمر باسقاط وزارة رياض باشا واحلال حكومة دستورية برلمانية محلها وفى يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١سار عرابى فى ألفين وخمسمائة جندى وثمانية عشر مدفعا إلى ميدان عابدين ومن خلفهم الالاف من سكان القاهرة وفى هذه اللحظات خشى توفيق مواجهة القوات الوطنية وحده فاستدعى السير " اوكلند كولفين " المراقب المإلى الانجليزى ليقف إلى جانبه فى ذلك الظرف العصيب ، وقد طلب الخديوى مشورته فنصحه " أوكلندا " بأن يسبق خصومه فى العمل وأن يجمع القوات المواليه له ويقضى بنفسه على عرابى فور حضوره ولكن توفيق أجاب بأن رجال

المدفعية والسوارى مع عرابى قد لا يحجمون عن اطلاق النار وحاول أوكلند أن يؤكد لتوفيق أنهم لن يجرأوا على فعل ذلك ونصحه بأنه من المصلحة قهر العصاة والا فهو ضائع لا محالة .

ولكن توفيق لم يكن يرجو الا النجاة بحياته بعد ما رأى هول ما يحدث أمامه ، وفى تمام الساعة الرابعة مساء ٩ سبتمبر كان عرابى قد وصل إلى قصر عابدين وخرج اليه توفيق ومن معه ولو أن رساما تخيل ما حدث فى هذا اليوم لوجد أمامه النقيضان فى مواجهة بعضهما البعض .

عرابى ومن ورائه الجيش المصرى والشعب ممثلا للاتجاه القومى التحررى وفى الجانب الآخر القوى الاستبدادية ممثلة فى الخديوى والنفوذ الأجنبى تساندهم الرجعية المصرية .

ويصف لنا عرابى فى مذكراته تلك المقابلة بشىء من التفصيل فيقول :

" تقدمت على صهوة جوادى حتى واجهت الخديوى فلما أمر لى بالترجل ترجلت وتقدمت اليه لتأدية التحية العسكرية وخلفى عدد من الضباط وحارس يشرع حربة على بندقيته " .

ويستمر عرابى " وكنت شاهرا سيفى فلما أمرنى الخديوى أن أغمده وافقته : ولما سأله الخديوى عن أسباب حضوره قال عرابى :

" جئنا يا مولاى لنعرض عليك طلبات الجيش والأمة وكلها طلبات عادلة " واستمر عرابى " أن الجيش جاء إلى الساحة باسم الشعب الذى يمثله فهو باسم الشعب المصرى يصر على تحقيق مطالب ثلاث لن تنصرف قواته قبل أجابتها فقال الخديوى : " وما هى هذه الطلبات "

فرد عرابى " هى اسقاط الحكومة المستبدة وتشكيل مجلس النواب على النسق الأوروبى وايصال عدد الجيش إلى الفرمانات السلطانية " .

فقال الخديوى : " كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها وأننا ورثنا هذه البلاد عن آبائنا وأجدادنا وما أنتم إلا عبيد احساناتنا ".

فقال عرابى : " لقد خلقنا الله احرارا ولم يخلقنا تراثا أو عقارا . فوالله الذى لا إله إلا هو أننا لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم " .

وإلى هنا كان الحوار قد بلغ مداه واقترح السيد " اوكلند كليفن " أن يرجع توفيق إلى القصر ويتركه وحده لمعالجة الموقف فرضخ الخديوى لرأى المراقب الانجليزى الذى ظل يناقش عرابى ويحاوره ويداوره ويحذره من خطورة الموقف

بالنسبة له ولأعوانه وموضحا له ضرورة انصراف الجند قبل فوات الأوان وأستمرت المناقشة ساعة ثم وصل سير تشارلز كوكس القنصل البريطانى والذى حاول معرفة خبايا عرابى فقال لعرابى :

" وماذا تفعل إذا لم يستجب الخديوى لهذه الطلبات ورد عرابى " عندما لا ينفذ نرى ما سوف نفعل " .

ولكن لم يكن هناك من مخرج لتوفيق أمام أحرار الحركة الوطنية " فعرابى يسانده الجيش وتقف وراءه الأمة برفع الصوت عاليا مطالبا بمطالب عادلة وانتهى الأمر بموافقة الخديوى على عزل الوزارة بشرط تأجيل المطلبين الباقيين إلى ما بعد الرجوع بشأنهما إلى الباب العالى فوافق عرابى على هذا الحل ولكن قامت صعوبة حول اسم رئيس الوزراء القادم حيث عرض الخديوى بعض الأسماء رُفضت كلها ولكن عندما عرض اسم شريف باشا وافق الضباط عليه بلا تردد وسارع عرابى وزميلاه إلى التماس مقابلة الخديوى لتجديد ولائهم له ، فأذن بالمقابلة وأنصرف الجيش عقب ذلك إلى معسكراته بهدوء .

إلا أنه بمجىء شريف باشا على رأس الوزارة الجديدة أصر على ألا يتولى شئون الحكم بناء على اوامر العسكريين ثم رضى بشرط أن يتعهد له الضباط بأن يمتثل الجيش للأوامر وعلق شريف قبوله الوزارة بانسحاب أحمد عرابى وعبد العال حلمى بكتيبتيهما إلى مديرية الشرقية ليتيح للوزارة فرصة العمل بعيدا عن ضغط الجيش وقد قبل الزعيمان ذلك الأمر ليفوتا على الخديوى وأصحابه ما يرغبان فيه من وقوع صدام بين الجيش والوزارة الجديدة .

وفى اليوم التالى لتشكيل الوزارة تقدم لشريف باشا كل من سلطان باشا وسليمان أباظة وحسن شريعى باشا ومنشاوى باشا والشمسى بك وعبد السلام المويلحى بك والوكيل بك وغيرهم من النواب ومعهم تقريران أحدهما وقعه فريق من العلماء والعمد والأعيان ضمانا لرؤساء الحزب العسكرى والثانى وقعه ١٦٠٠ من الكبراء والعلماء والعمد والأعيان بطلب تشكيل المجلس النيابى الجديد .

وقد عين البارودى وزيرا للحربية فى وزارة شريف المذكورة وفعلا بدأ شريف فى اجراء الانتخابات للمجلس الجديد الذى أفتتح فى ديسمبر سنة١٨٨١ حيث عرض عليه شريف اللائحة الأساسية أى الدستور ورغم أن الجلسات كانت سرية

وقت أن القى خطاب العرش الا أن الحراس لم يستطيعوا منع الجمهور من الدخول فكانت الجلسة علنية فى الواقع .

ولكن الدستور الجديد لم يتضمن حق المجلس فى النظر فى الميزانية وكان هدف شريف من ذلك هو تحاشى الصدام بالدول الأوروبية حتى لا يؤدى ذلك التصادم إلى عودة العسكريين إلى مركز الزعامة من جديد ولكن أعضاء المجلس أصروا على حقهم فى نظر الميزانية .

تحرش أنجلترا وفرنسا :

بدأت الأمور تستقر فى مصر تدريجيا —وأصبح الشعب فرحا بما حققه من وزارة مسئولة أمام البرلمان ومن دستور يؤكد حرية الشعب ويحجم سلطات الحاكم وأصبح الخديوى بلا سلطات تقريبا ومن هنا بدأت انجلترا وفرنسا تنظران بغيظ وكمد إلى الانتصارات التى حققتها الثورة وكان أن أرسل " غامبتا " رئيس وزراء فرنسا إلى " جرانفيل " وزير خارجية بريطانيا يقول له :

" أن من الخطر أن تسكت الدولتان حتى تفاجئهما الحوادث ، وأن من المصلحة شل عناصر الاضطرابات المتولدة من عقد المجلس وفعلا أعدت الحكومة الفرنسية مشروع مذكرة وافقت عليها الحكومة الانجليزية أرسلت إلى خديوى مصر فى ٧ يناير سنة ١٨٨٢ تعربان فيها عن تأييدهما التام لموقف الخديوى فى معارضته للحركة الوطنية وأنهما على استعداد لحماية النظام فى مصر وعلى أنهما مستعدان لمقاومة أى ارتباك داخلى يهدد نظام الشئون المصرية الاساسية .

وقد أعد شريف باشا ردا شديد اللهجة على لسان الخديوى ضد هذه المذكرة قال فيها :

" أن اليوم الذى يؤيدنى فيه الدولتان ضد ارادة بلادى هو اليوم الذى تحين فيه الساعة الأخيرة ومتى فصل الرأس من الجسم لم يبق سبيل إلا الموت ، فأنا أما أن أكون خديوى مصر أو لا أكون شيئا ، وقد نشر هذا الرد فى عدد أول مارس فى جريدة " الطان " الفرنسية سنة ١٨٨١ ولكن لم يكن نشره رسميا كما أن فرنسا تدخلت للتخفيف من لهجته وفى تلك الأثناء كانت الحكومة الفرنسية تعد فعلا جيشا فى جنوب فرنسا ترسله إلى مصر وكانت تأمل أن تساعدها انجلترا بتجربتها بينما هى تتقدم فى البلاد ولكن الحكومة الانجليزية بعد المذكرة الأولى فتحت عينيها لمطامع فرنسا وقررت أن تحد منها وتجعل الفوز لها وحدها

بمصر فى الوقت المناسب .

وفى يوم ٩ يناير كان عرابى وقد عين وكيلا للحربية قد أحس بأبعاد المؤامرة فقال جملته المشهورة تعليقا على المذكرة المشتركة هذه :

" هذا تحد لحرياتنا وليس لإعلان اتحاد فرنسا وانجلترا معا إلا أن انجلترا ستغزو مصر كما غزت فرنسا وتونس " .

ولكن وزارة شريف لم تلبث أن استقالت فى ٢ فبراير سنة ١٨٨٢ حيث تولى الحكم محمود سامى البارودى وأسندت نظارة الجهادية إلى أحمد عرابى ، وسميت هذه الوزارة باسم الوزارة العرابية أو وزارة الثورة ، وما أن وليت الوزارة الحكم حتى أسرعت باصدار اللائحة الأساسية أى الدستور وفيه نص على مبدأ مسئولية الوزراء فى مناقشة الميزانية واقرارها أمام البرلمان .

المؤامرة الشركسية :

هذه المؤامرة دبرها الخديوى اسماعيل بهدف العودة إلى العرش بعد أن هاله اضطراب الموقف فى مصر – من وجهة نظره – وكان يساعد اسماعيل فى تحقيق هذا الهدف سير ريفرز ولسن الذى كان يدرك أن توفيق لم يعد صالحا للحكم بعد أن استسلم واذعن لمطالب الثوار ويقال أن اسماعيل أوعز إلى أحد انصاره وهو راتب باشا أن يجمع إلى صفه بعض الضباط الشراكسة لاغتيال عرابى والباردوى وباقى زملائهما ولكن كشفت المؤامرة على يد ضابط شركسى مخلص لعرابى هو راشد أنور فألقى القبض على المتآمرين وفشلت المؤامرة وحوكموا أمام محكمة عسكرية وصدر الحكم عليهم بالنفى إلى السودان ولكن توفيق تحت ضغط القنصل الانجليزى رفض التصديق على الحكم .

وهنا اضطربت الأمور بين الخديوى والوزارة وبدأ التفكير جديا من جانب العسكريين فى عزل توفيق والتخلص نهائيا من أسرة محمد على ولكن المدنيين رفضوا ذلك الرأى ومن هنا بدأ الانشقاق بين معسكر الثورة ، وفى مواجهة هذا كله أسرعت بريطانيا وفرنسا بارسال بعض قطع من اسطولهما إلى ميناء الاسكندرية وأرسلتا مذكرة مشتركة للمرة الثانية فى ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢ تطالبان فيها باقالة وزارة البارودى ونفى عرابى خارج البلاد وأبعاد زملائه عن القاهرة .

فلم يسع البارودى إلا أن قدم استقالته فى اليوم التالى بعد أن أحتج على هذا التدخل السافر فى شئون مصر الداخلية .

مذبحة الإسكندرية :

لو ترك الأمر للحركة الوطنية بلا تدخل لنجحت الثورة العرابية ولما وقع الاحتلال ولكن وقعت الثورة العرابية فريسة بين نارين أحداهما نار الرجعية بزعامة الخديوى توفيق والعناصر التركية والشركسية والتى هالها ذلك التأييد للحركة الوطنية من جانب الشعب والجيش وماكان يعنيه ذلك من اعتبارها مبعدة حتماً عن السلم الإجتماعى ومطرودة من السلطة ، وكان لانضمام بعض الكبار إلى معسكر الخديوى توفيق الأثر الكبير فى أن تصبح جبهة هذا المعسكر قوية ومعول هدم للحركة الوطنية ومبرراً شرعياً يستند اليه التدخل الانجليزى والفرنسى ، أما النار الثانية فهى أطماع انجلترا والتى كان يسوؤها كل إنتصار يحققه الوطنيين وفى ضوء ذلك كله وبعد أن أصبح عرابى مسئولاً عن الأمن والجيش فى مصر بدأت تدابير مؤامرة مذبحة الإسكندرية وهى بحق أولى معارك المصريين التى خاضوها ضد الأجانب .وقد وقعت يوم ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ .

كان عدد الأجانب فى مدينة الإسكندرية ٨ آلاف أجنبى يقابلهم ٢٢ ألف وطنى وكانت أهم الجاليات الأجنبية هى اليونانية والإيطالية والمالطية ومعظمهم كانوا يعملون بالتجارة وأكثرهم كان يعمل فى مجال الإقراض بالربا .

والحادثة كان يمكن أن تمر على أنها شئ عادى فهى قد بدأت على أساس شجار بين مالطى قام باستئجار حمار من أحد المصريين ورفض دفع أجرة معقولة فلما نشب الشجار قام المالطى بطعن المصرى (وكان أسمه السيد العجان) بمدية معه وفر هارباً فأسرع وراءه بعض زملاء المجنى عليه ، واحتمى المالطى بجاليته التى قامت باطلاق النار على المصريين وبدأت معارك الانتقام حتى ارتفع عدد المصابين والقتلى، ومن المهم أن ندرك أن المالطى كان خادماً سابقاً للقنصلية البريطانية ولعل هذا قد يشير بإصابع الاتهام إلى بريطانيا فى مسئوليتها عن تدبير الحادث ، كما أن المصريين فوجئوا بتسليح الأجانب بالمسدسات والبنادق وبالإستعداد لمواجهة الموقف بالعنف ، والسؤال من الذى وزع السلاح على الأجانب وبينما كان سلاح المصريين النبابيت والعصى والكراسى كان سلاح الأجانب البارود والبنادق وطلقات الرصاص .

لم يحدث تحقيق لما حدث لتحديد مسئولية مدير الأمن أو محافظ المدينة المدعو عمر لطفى والذى يقال أن له ضلعاً فى تدبير الحادث خاصة وأنه يحقد على عرابى وزملائه ويروى أن الخديوى توفيق أرسل تلغرافاً قال فيه :

" لقد تعهد عرابى بحفظ النظام وأعلن ذلك فى الجرائد وقبل على نفسه المسئولية أمام القنصل فإذا نجح فى هذا التعهد فإن الدول تثق به وعندئذ يضيع اعتبارنا ثم أن أساطيل الدول الموجودة فى ميناء الإسكندرية مستعدة للعمل فعقول الناس متهيجة والمشاجرات ليست بعيدة الوقوع بين الأوروبيين وغيرهم فالآن اختر لنفسك هل أنت تنوى خدمة عرابى فتساعده على تعهده أم تنوى خدمتنا " وكان هذا التلميح مايجعل عمر لطفى يتخذ إجراءاته وقد أنكر الخديوى أنه أرسل هذا التلغراف ولكن من المؤكد أيضاً أن درويش باشا المبعوث التركى لما وجد عناداً من عرابى ساهم فى التدبير للمؤامرة وهكذا أحبكت أطرافها ببراعة وشارك فى تدبيرها الكثيرون وكان لديه القناعة بأنه انما يفعل ذلك لمصلحته هو فقط أى أن الاجماع كان هو ضرب الحركة الوطنية .

لقد كوفئ عمر لطفى على جريمته بتعيينه وزيراً للحربية والبحرية بعد انتهاء الحرب ودخول الانجليز مصر ، وكان الدور الذى رسم له أنه إذا حدثت القلاقل فى الإسكندرية عليه أن يمنع جنوده من التعرض للمشاغبين وألا يكلفهم قمع الفتنه وليس أدل على دور الإنجليز فى المؤامرة من تصريح مسيو " دى فريسينيه " رئيس وزراء فرنسا فى مجلس الشيوخ الفرنسى فى جلسة ١٣ يونيو سنة ١٨٨٢ حيث قال :

" أن عدة أسلحة أعطيت للمالطيين قبل مذبحة ١١ يونيو - وهم رعايا الإنجليز لأن مالطة كانت خاضعة للإمبراطورية البريطانية - بعدة أيام وأن نسبة المذبحة للتعصب خطأ محض " بقى أن نقول أن الاحصاءات الدقيقة قدرت عدد القتلى بـ ١٥٧ نفساً من المصريين بينما قتل من الأجانب أربعون .

ضرب الإسكندرية :

كان ضرب الإسكندرية هو المقدمة الطبيعية لاحتلال الإنجليز لمصر وقد تمهد له منذ يوم ٢٩ مايو حيث كتب الاميرال " بو شامب سيمور " إلى حكومته يخطرها بأن العرابيين يحصنون الطوابى وأن هذا التحصين يجعل بوارج الاسطول البريطانى المرابطة فى ميناء الإسكندرية فى خطر ، تماماً مثل قصة الذئب

والحمل ، ورغم أن ماكان يجرى كان مجرد ترميم عادى ولم تلبث أعمال الترميمات أن توقفت بعد صدور أوامر السلطان بذلك وكان جرانفيل قد خاطبه فى هذا الشأن .

وفى تلك الأثناء كان الوضع قد بدأ يستتب فى مصر بعد مذبحة الإسكندرية حيث تشكلت حكومة جديدة برئاسة اسماعيل راغب باشا فى ١٩ يونيو وكان عرابى فيها ناظراً للحربية ولكن انجلترا أحست بأن الفرصة ستفلت من يدها فأوعز السير ادوارد ماليت قنصل انجلترا العام إلى الرعايا البريطانيين بأن ينتقلوا إلى الاسطول الإنجليزى وشرع هؤلاء الرعايا ينتقلون إلى الاسطول فعلا وانتقل معهم السير ماليت نفسه ومعه مستر كوكسى وبدأ الفزع يدب فى الجاليات الأجنبية الأخرى ومن ثم بدأوا ينتقلون إلى السفن الراسية فى الميناء أما أهل المدينة من المصريين فإنهم شرعوا يهجرونها إلى داخل البلاد .

وفى ٢ يوليو تحرك " سيمور" من جديد مدعياً أن المصريين يحاولون أن يسدوا البوغاز ليحاصروه فى الميناء ولم يكن هذا صحيحاً وإنما كان مجرد مبرر جاءت التعليمات أن يحرك سيمور الاسطول الفرنسى فى أى عمليات حربية وان ينذر سكان المدينة قبل الشروع فى ضربها .

وفى ذلك الوقت كان هناك مؤتمر منعقد فى الآستانه حول المسألة المصرية حيث تعهدت جميع الدول المشتركة فيه ألا تقوم أى منها بعمل منفرد من جانبها دون إستشارة مجموعة الدول المنعقدة فى المؤتمر .

كانت فرنسا تمتلك القوى البرية وملتزمة بقرارات مؤتمر الاستانة فإنها أعلنت أنها لن تشارك فى ضرب الإسكندرية وبذلك خلا الموقف تماماً لإنجلترا لتحقيق أغراضها وظلت انجلترا تصعد المسألة بينها وبين طلبة عصمت قنصل الدول التوسط بينه وبين سيمور ولكن الأخير كان يرفض كل وساطة لأنه كان يدبر أمر احتلال وضرب الاسكندرية .

وجاء يوم ١١ يوليو الموعود وأطلق سيمور مدافعه على الإسكندرية بعد أن أحاط بها من كل جانب وانتهى اليوم الأول بفوز الاسطول الانجليزى وتدمير أكثر الحصون وعقد مجلس النظار برئاسة راغب راشد باشا فتقرر رفع الراية البيضاء عندما يشرع الأسطول فى الضرب فى اليوم التالى ، وفعلاً ما إن جاءت الساعة العاشرة والدقيقة الخمسون حتى شرعت بوارج بريطانيا تطلق قنابلها

وهنا رفعت الرايات البيضاء فطلب سيمور تسليم الحصون المشرفة على البوغاز من طلبة باشا الذى توجه اليه فى يخت المحروسة ولكن طلبة لم يكن يملك الصلاحية فتوجه إلى النظار والخديوى والمجتمعين فى قصر الرمل وأرسلت برقية إلى السلطان تشرح وجهة النظر ولكن سيمور لم ينتظر طويلاً حيث أعاد ضرب المدينة وفى الساعة السادسة مساء دخلت البارجة " لنفسيل " الميناء وفى تلك الأثناء شرع الجيش المصرى فى إخلاء المدينة والتحصن فى كفر الدوار ، وبدأت النار تسرى فى مبانى المدينة .

ودخل الانجليز الاسكندرية ولاشك أن المقاومة الضعيفة التى أبدتها الطوابى ضد مدافع سيمور يوم ١١ يوليو تدل على أن أعمال التحصين التى شكلها سيمور لم تكن جدية " وقد قال مسيو دى فريسنيه " رئيس وزار فرنسا وقتئذ فى كتاب قام بتألفيه عن " المسألة المصرية.. " الأخبار التى جائتنا أنذاك لم تكن مزعجة إلى الحد الذى تصوره الأميرال سيمور بحيث أن ضرب المدينة كان عملا هجوميا لا عملا دفاعياً ".

بعد سقوط الاسكندرية كتب عرابى إلى يعقوب سامى وكيل الجهادية (أى نظارة الحربية) فى القاهرة يطلب منه عقد مجلس من أعيان البلاد لتقرير مايرونه ، فعقد يعقوب سامى هذا المجلس وتقرر أن ضرب الإسكندرية هو عنوان حربى وان مصر بذلك فى حالة حرب مع الانجليز وعلى الجيش أن يستمر فى الاستعداد خلافاً لما يأمر به الخديوى، وكان الخديوى قد أمر بوقف تحصينات العرابيين فى كفر الدوار وكان راغب باشا قد أخطر سيمور أن الخديوى بصدد أمر بعزل عرابى وفعلا أصدر توفيق أمر بعزل عرابى من منصبه فى ٢٠ يوليو سنة ١٨٨٢ .

موقعة كفر الدوار :

اجتمع مجلس من كبار القوم من الأعيان المصريين ومن رجال البرلمان وأعلنوا أن الخديوى بعد انضمامه للانجليز لم يعد فى موقع يسمح له بقيادة الأمة وقرر المجتمعون إبقاء عرابى فى الوزارة وأمر بتهيئة أسباب الدفاع حتى يجلوا عن البلاد الأعداء .

وقام عرابى بتهيئة الموقف العسكرى للتصدى للإنجليز حيث كون مجلساً دائما

يعاونه فى اتخاذ سبل الدفاع وكان هذا المجلس برئاسة يعقوب سامى باشا فأخذ فى أعداد العدة للتجنيد مدة الحرب ومد الجيش بالمؤن والذخائر كما تقرر أنه لغياب راغب باشا وبقية الوزراء أن ينوب وكيل الوزارة فى العمل عن الوزير ويمكن أن نقرر بكل اخلاص للتاريخ أن مصر لم تر حكومة أصلح من الحكومة التى أدارت شئونها مدة الحرب .

وقد بدأت معركة كفر الدوار بين الانجليز والمصريين فى أغسطس سنة ١٨٨٢ وكان الانجليز بقيادة الجنرال ولسلى... ولم تدم المعركة طويلا حتى أنجلت عن فوز العرابيين وتقهقر الإنجليز إلى أبواب الإسكندرية طالبين النجدات من قبرص ومالطة وجبل طارق وارسلت اليهم النجدة تضم الكثير من الهنود .

وأستمرت المناوشات حتى يوم ٢٠ اغسطس ، وفى ذلك اليوم بدأت معركة كفر الدوار الثانية وأستمرت فترة طويلة وأنتصر المصريون للمرة الثانية وكان الأهإلى يمدون الجيش بالأموال والرجال بسخاء عظيم حتى يمكن أن يقال أن الحرب المصرية التى قادها عرابى والتى استمرت شهرين فى الميدان الحربى لم تكلف الخزينة المصرية قرشا واحدا بل دفع نفقاتها الأهإلى مما يدل على ان حركة المصريين فى ذلك الحين لم تكن مصطنعة بل كانت صادرة من اعماق قلوب مملؤة بالوطنية .

معركة التل الكبير:

أدرك الانجليز ان الميدان الحربى صعب عليهم اختراقه فبدأوا يلجأون إلى الخديعة ورأوا ان يدخلوا مصر من خلال قناة السويس وفعلا أبحر اسطولهم وخدع عرابى بأقوال ديلسبس وانتهى الموقف بهزيمة المصريين فى معركة التل الكبير بعد ان كانت الخيانة قد تفشت فى بعض العناصر المعادية للثورة و تسببت فى ضياع الامل فى التصدى للانجليز .

ولم يكن النصر فى التل الكبير دلالة على شجاعة انجليزية او بطولة اوروبية بقدر ما كان خديعة وخيانة وجشعاً وأنانية من جانب بعض العناصر الرجعية انتهى الامر بتسليم عرابى نفسه عقب معركة التل الكبير للانجليز ودخول هؤلاء القاهرة فى ١٥ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ليبدأ احتلال دام لأرض مصر الطاهرة اكثر من ٧٤ عام متوالياً لم يخل يوما فيها من تضحيات قدمها الشعب المصرى فى سبيل حريته واستقلاله .

وبعد ... فما حقيقة ما حدث وما هى ابعاد الشخصية المصرية فى قيادة الثورة العرابية ...

زعامات الثورة العرابية

ولقد كانت جناية الاحتلال البريطانى على تاريخنا أنه لن يطمس عبقرية أبطالنا فى أحداث الثورة العرابية سواء فى التحدى أو الصمود أو المقاومة .

إن تاريخ الثورة العرابية ملئ بالأبطال المصريين الذين هم فى حاجة إلى دراسة تاريخهم وفهمهم ليظلوا معنا فى موكب الحياة بما كان لهم من تأثيرات إيجابية على خطوات انطلاقنا فى الكفاح من أجل الوطن .

الأبطال السبعة :

فى يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ – أى بعد وقوع القاهرة فى يد الانجليز بلا أدنى مقاومة بحوإلى ثلاثة عشر يوما . أصدر توفيق –بناء على أوامر انجليزية –أمراً بتكوين لجنة تحقيق مع زعامات الثورة العرابية المعتقلين ، وكانت زعامات الثورة السبعة التى قبض على بعض منها والتى استسلم البعض الآخر فى ميدان القتال بعد أن نفذت ذخيرتهم أو من سلم نفسه للإنجليز كان هؤلاء السبعة هم :

أحمد عرابى ، يعقوب سامى ، طلبة عصمت ، على فهمى ، عبد العال حلمى ، محمود سامى البارودى ، محمود فهمى وإلى جانبهم آلاف المدنيين الذين وصل تعدادهم أكثر من ثلاثين ألف شخص .

وكانت لجنة التحقيق تتكون من تسعة إلى جانب الرئيس وهو اسماعيل باشا أيوب ، ومن سخريات القدر فى الثورة العرابية أن الكثيرين ممن شاركوا فى صنع خطواتها فى البداية أصبحوا جلاديها فى النهاية فرئيس لجنة التحقيق كان من الثوار ثم أنضم لمعسكر الخديوى . كذلك كان سلطان باشا ضمن معسكر الثورة ثم أصبح أكبر أعوان الخديوى ونائباً له .

وقد ضمت لجنة التحقيق٢ من الشراكسة و٢ من الأتراك و١ من الأكراد ، وآخر رومياً ، وفارسيا ، وأرنائوطيا . ولم يكن بلجنة التحقيق مصرى واحد .

وفى نفس الوقت تشكلت محكمة عسكرية عليا من تسعة أعضاء لمحاكمة العرابيين وكان يرأسها محمد رؤوف باشا وهو كردى الأصل وضمت كبار

الضباط الأتراك والشراكسة خصوم العرابيين ، فمنهم (٢) من الشراكسة و(٢) من الأرنائوط ، وروومى واحد ، وتركى واحد وكان من المصريين عضواً واحداً وهو أحمد حسنين الذى كان يعمل فى وظيفة قائد عام للإسطول النهرى المصرى .

لقد كانت هذه المحاكم التاريخية تكشف اليوم عن شجاعة أحمد عرابى وعن صلابة وعن صدق إحساسه الثورى .

وفيما يلى لمحة عن هؤلاء الأبطال أبناء الشعب .

١) **يعقوب سامى :**

كان رئيس المؤتمر الوطنى الذى كان يحكم باسم المجلس العرفى وكان عرابى يسمى هذا المجلس إدارة البلاد وقد خدم مدة طويلة فى الميدان وتزوج قبل نشوب الثورة بثلاث سنوات إحدى حريم القصر وكان فى البداية قليل العطف على عرابى ثم إنضم إليه بكل جوارحه .

وقد أساؤا معاملته كثيرا فى السجن إلى درجة أنه فقد حواسه تقريباً وأجبروه على أن يشهد ضد عرابى أمام لجنة التحقيق وقد سلم نفسه فى الإسكندرية ثم نقل إلى القاهرة فى أسوأ صورة وظل لمدة خمسة أيام يسام أسوأ أنواع العذاب وخضع لكافة أنواع التهديدات .

٢) **محمود فهمى :**

ولد فى عام ١٨٢٩ بمركز ببا بنى سويف وكان يعمل استاذاً لعلم الاستحكامات والفنون العسكرية .

كتب فى مذكراته بمرارة يذم عرابى ويسمه بالجهل وبأنه مرتش ومزواج وأنه كان شديد الطمع كنتيجة للتحول الطبقى الذى عاش فيه بعد أن تملك مايقرب من ألف فدان . ولكنه رغم أن محمود فهمى كان من ضمن من بقوا مع عرابى إلا أنه كان يبالغ فى بعض أوصاف عرابى والواقع أنه كان يعتقد –أى محمود فهمى –أن عرابى هو السبب فى نفيه وإبعاده عن مصر .

وكانت وظيفة محمود فهمى المهندس هى رئيس أركان حرب الجيش المصرى وقد وقع فى الأسر خلال نضاله ضد الإنجليز .

٣) **عبد العال حلمى :**

وكان أكثر العرابيين صلة برجال الفكر الأحرار الذين يطالبون بالشورى .

واسمه يرتبط بالكثير من المواقف المشرفة ولعله الوحيد بين العرابيين الذى استحق عن جداره أن يكون موضع اضطهاد أعداء الثورة من الشراكسة إلى الخديوى وإلى الإنجليز كان عبد العال حلمى قائد موقع دمياط وقد دار خلاف بينه وبين عرابى فى المنفى ولكنه توفى قبل عرابى فرثاه بقوله كان أعز الرجال وشهيد الوطن ،قتل ياور الخاص " يوسف أبو ديه " غدراً بعد أن أتهموه بتدبير فتنه فى طنطا كان بريئاً منها .

٤) طلبه عصمت :

كان المدنى الذى إنضم للثورة وهى جنين لم يتكون بعد ، حتى أدى ذلك إلى فصله من عمله ثم إنضم للجيش وظل يحارب فى صفوف الثورة وقاد قوات المقاومة فى الميدان العربى ضد هجوم الإنجليز أكثر من مرة .

وقد تولى قيادة منطقة كفر الدوار ونجح فى صد الإنجليز .

٥) محمود سامى البارودى :

كان شركسياً ومع ذلك فإنه تمصر وأصبح أشد وفاءً لمصر من غيره من بنى جنسه وكان قائداً لمنطقة الصالحية وكان رئيس أول وزارة للثورة العرابية أمن بالدستور وبالمسئولية الوزارية أمام مجلس النواب . وكان شاعراً ورغم أنه كان فى نهاية حياته غاضباً على دوره فى الثورة حيث ألف قصيدة قوامها ٥٠٠ بيت كلها هجوم على الثورة .عانى فى المنفى ذل الغربة سبعة عشر عاماً ضاع فيها ووهن جسمه .

٦) على فهمى :

أحد الأبطال الثلاثة الذين قادوا الثورة وكان بطل معركة القصاصين الثانية ولقد لقن ولسلى يومها درساً لن ينساه أصيب برصاصة فى ساقه وظل يتابع المعركة وهو على سريره فى القاهرة .

كان مشهوراً باسم على الديب وكان يشغل وظيفة قائد حرس الخديوى ، آمن بأن السياسة خداع .

عاش هؤلاء الرجال يعانون أسوأ أيام حياتهم .. فى حصار دائم بينهم وبين مصر .. لايعرفون أخبارها وتمر السنوات كئيبة ويبدأ الرجال السبعة يتساقطون كان أولهم عبد العال حلمى ، مات شهيد الوطنية والغربة ودفن فى مصر بناءً

على قرار الأطباء الذين قالوا بأنه لن يعيش أكثر من خمسة أشهر ولم تكن أقدامه تطأ أرض مصر حتى مات .

ولم ينتظر محمود سامى قرار العودة إلى بلاده فتلقى البشير الذى حمل إليه النبأ تعازى جيرانه فيه . ولما عاد الثلاثة الباقون مات البارودى بعد أربع سنوات قضاها كفيف البصر حبيس منزله ومات عرابى وعلى فهمى فى عامين متتاليين ولكن أليس من الواجب أن نلقى الضوء على شخصية زعيم الثورة .

٧) **أحمد عرابى :**

تعددت آراء المؤرخين فى شخصية أحمد عرابى ، فالبعض كان يصفه بأنه المثل الأعلى للرومانسية الوطنية ، والبعض الآخر يصفه بالأنتهازية والتردد وبضعف الشخصية لأنه سلم نفسه للإنجليز وترك ميدان المعركة بمجرد ان ادرك ان الهزيمة على وشك ان تلحق بجيشه فى التل الكبير ولكن الكثيرين منه حكموا عليه من وجهة نظر الظروف التى تخيلوها هم وبعدوا عن الواقعية التاريخية فى تفسير الأحداث بالأوضاع التى أحاطت به . لقد كان عرابى طموحا بطبعه جريئا فى عصره .

لقد كان عرابى طويلاً عريض المنكبين ، بطئ الحركة نوعاً ، لكنه كان قوياً يملك عينين ذات نظرات حادة ، أسمر اللون ، ذكيا ، دخل الجيش نفراً ثم ترقى حتى وصل إلى رتبة الأميرالاى .

ولد عرابى فى مارس سنة ١٨٤١ فى قرية هرية رزنه بالشرقية (وهى تقع بالقرب من مدينة الزقازيق) وكان أبوه هو محمد عرابى شيخ القرية أو بمعنى أدق أحد مشايخ القرية لأن القرية كان يوجد بها أكثر من شيخ وقد مات أبوه وهو فى الثامنة من عمره فتولى أمره أخوه الأكبر الذى أرسله إلى الأزهر عسى أن يصبح من علماؤه وقد حفظ القرآن قبل قبوله بالأزهر وظل يدرس به لمدة أربع سنوات حيث عاد إلى قريته وكان عرابى عند التحدث بنسبه يصل بأجداده إلى الحسين عليه السلام وسواء صحت هذه الصلة أم لم تصح فقد كان مؤمناً بها وكان هذا الإيمان كفيلاً أن يملؤه انفة وعزة . وقد ألحق بالجيش حيث بدأت مرحلة جديد من حياته ومن هنا لو قارنا بين معرفة عرابى من الكتاب والأزهر

ثم اطلاعاته الخاصة ووقفاته البطولية وعدم إدراكه لما يدور من آلاعيب فى ميدان السياسة الدولية حول مصر وتخلقه بالقيم الدينية والمثالية فى التعامل بصراحة لأمكننا أن نقدر عرابى حق قدره كبطل على مسرح التاريخ .

ولو تسائل أحد لماذا سلم عرابى نفسه للإنجليز . لاشك أنه خاف على تسليم القاهرة فى ظل معركة غير متكافئة أن يؤدى ذلك إلى مزيد من الدماء بلا طائل بعد أن أدرك عرابى أن الكثير معه قد تركوه وأن مدة الصمود أمام الإنجليز لن تطول وأن الخيانة قد فعلت الكثير من دحر العرابيين وأصبحت المعركة غير متكافئة وخوفاً من تدمير القاهرة رأى عرابى أن يسلم نفسه وكان تأثير " جون تينيه " المؤرخ السويسرى المعروف والذى عاش فى مصر كرئيس للجالية السويسرية أن قام عرابى وعصمت طلبة بتسليم نفسيهما إلى ثكنات العباسية وبذلك انتهت الثورة العرابية وكان عرابى يطمع فى حماية بريطانيا من انتقام الخديوى وكان فى ذلك الوقت واقعاً تحت تأثير ماحدث لنابليون .

وإذا ماأضفنا أن الرأى العام البريطانى لم يكن يوافق على إعدام المسجونين السياسيين فمن هنا كانت ظروف محاكمة عرابى .

وتألفت المحكمة ولم يشارك فيها الإنجليز ولكن عين الخديوى مراقباً إنجليزيا للتحقيق هو السير " تشارلس ويلسون " وكان لهذا المستشار تلك المقولة :

" يبدو لى من الصعب أن قائدا لأحد الجيوش يمكن أن يعرض لعقوبة الإعدام بعد أن سلم سيفه لقائد إنجليزى منتصر " .

محاكمة العرابيين

بدأت المحاكمة فى قاعة مجلس الشورى وجلس كومندان الحامية الإنجليزية فى كرسى النائب العمومى ، وقد تقرر توجيه أثنتا عشرة تهمة للعرابيين منها الثورة والتمرد والعصيان وإشعال حريق الإسكندرية وتدبير مذبحتها ومحاولة خلع الخديوى .

ولكن إستقر الرأى فى النهاية على أن تكون المحاكمة وهمية ، وفى ٧ نوفمبر وصل اللورد " دوفرين " إلى القاهرة ووضع الترتيب الآتى بعد أن دل التحقيق الإبتدائى إنه لايمكن إتهام عرابى إلا بتهمة " الثورة " .

أ) أن يعترف عرابى بأنه مذنب لثورته على الخديوى .

ب) أن المحكمة تحكم عليه بالإعدام .

ج) أن الحكم يعدل بنفيه إلى الأبد من مصر .

وتقرر فى النهاية ذهابه مع رفاقه الزعماء إلى جزيرة سيلان التى حملته إليها سفينة " مريوتس " التى بارحت ميناء السويس فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨٢,

ولقد جاء فى التقرير المرسل من لورد " دوفرين " إلى لورد " جرانفيل " فى ١٢ ديسمبر سنة ١٨٨٢ وصف الآثر الذى اتجه حكم الإعدام على عرابى ثم التخفيف عليه هو وأعوانه فى مصر ، أن الأوربيين والباشوات حملوا على ليونة المحاكمة بينما فى الناحية الأخرى أستقبلت الجماهير تعديل الحكم بالإستحسان .

وقد حوكم حوإلى مائة وخمسين مواطنا مصرياً حكم على بعضهم بالنفى من مصر وعلى البعض الآخر بالاقامة فى المديريات مدداً متفاوتة تحت رقابة البوليس .

ومن الجدير بالذكر أن عدد من حضروا الجلسة كانوا أقل من أربعين شخصاً بينهم ٢٠ صحفياً .

الاجانب والثورة :

هناك نظرة غير موضوعية أورثنا اياها الاحتلال البريطانى من جراء افعاله فينا وهى التشكك فى كل ماهو أجنبى رغم أن هناك بعض الاخلاقيات لدى بعض العناصر الأجنبية ، نذكر من هؤلاء اولئك الذين وقفوا مع الثورة العرابية يؤيدونها بالقول ويقفون مع ابطالها مدافعين عنهم بالقلم .

ولعل أول هؤلاء الأجانب هو المستر الفريد سكاون بلنت الايرلندى الجنسية والذى كان صديقاً لعرابى وأحد الذين تكلموا بموضوعية وفضحوا أسرار الاحتلال البريطانى فى كتابه الشهير " التاريخ السرى للاحتلال البريطانى لمصر " وقد جمع فى هذا الكتاب الكثير من الخطابات المتبادلة بينه وبين شهود العيان لأحداث الثورة العرابية ، وكان على صلة وثيقة بزعامات الثورة وكان الفريد بلنت هو الذى اختار المستر "برودلى" والمستر"نابير" للدفاع عن عرابى ، وقد كتب برودلى كتابه الهام الذى يصف محاكمة عرابى تحت عنوان " كيف دافعنا عن عرابى " وقد وافق عليهما عرابى ، وقد كتب برودلى " لا شك فى أن عرابى

واصحابه كانت لديهم القدرة على أن ينهضوا بحكم أمتهم حكماً شعبياً " .

وثانيهم هو "جون نينه " ذلك المؤرخ السويسرى والذى كان عميداً لجالية سويسرا فى مصر وقد كتب كتابا يصف به " العرابيين" سماه "عرابى باشا " وصف فيه احداث وأسرار ومعارك الثورة العرابية وقد سخر من العرابيين وصور بقلمه ماحدث عند ضرب الاسكندرية فى ١١ يوليو من جريمة بشعة ستظل وصمة عار إلى الأبد لبريطانيا .

وهناك الكثير من الصحفيين الأجانب الذين اكتفوا بالتعاطف مع عرابى وثورته .

يذكر من هؤلاء الصحفيين الصحفى الفرنسى المسيو "جابريل " مراسل جريدة "الجورنال دى ديبا" وقد استطاع أن ينشر عدة مقالات عن بعض الوان التعذيب الذى لقاه عرابى فى السجن ، كيف كان الاتراك والشراكسة يسيئون اليه وأن الانجليز كانوا سيدخلون لتوفير معاملة انسانية له .

الخونة والثورة العرابية :

فى حياة كل الثورات لابد وأن يكون للتاريخ وجهة نظر فى بعض الشخصيات التى قامت بأدوار سلبية كانت السبب فى انتكاس هذه الثورات .

الثورة العرابية وجدت الكثير من المتآمرين الذين ساعدوا على الفوضى وساهموا فى التخريب ودمروا الروح المعنوية وشنوا على الجماهير حرباً نفسية لا هوادة فيها حتى ينفضوا من تأييد عرابى ، والبعض من هؤلاء كان دوره التآمرى والخيانى واضحاً لا شبهة فيه ، والبعض ارتكب جريمة فى حق الشعب بطريق غير مباشر دون أن يدرك ماسوف يلحق به من الخزى والعار وكل منهم بلا شك تفاوت فى الدور الذى لعبه ، فالبعض لعب دوراً خلال الالتحام العسكرى والبعض الأخر بعد هزيمة الثورة بل ولا يجب أن ننسى من كانوا بخيانتهم قد مهدوا للاحتلال الفعلى .

- ❖ أول الخونة هو عمر لطفى محافظ الاسكندرية خلال مذبحتها الشهيرة فى ١١ ، ١٢ يونيو سنة ١٨٨٢ ، هذا الرجل الذى كافأه الانجليز بعد استسلام العرابيين على الدور الذى قام به فى هذه المذبحة ، لأنه منع جنوده من التدخل لانهاء الاشتباكات بين المصريين والأجانب ولأنه انحاز إلى جانب

الخديوى بناءً على برقية سرية وصلته من سراى عابدين تحثه على اشعال نار الفتنة فى الاسكندرية لأنها المكان الطبيعى للصدام بين المصريين والأجانب حيث كاد عدد الأجانب يصل إلى حوال ثلث سكان الاسكندرية كافأه الانجليز على دوره بتعيينه وزيراً للحربية والبحرية فى أول وزارة تحت حكم الاحتلال ، كما أن عمر لطفى بعد هذه المذبحة حصل على اجازة لمدة شهر ونصف الشهر ولم يحضر مجلس التحقيق مع أنه كان رئيس هذا المجلس ولا يمكن القول بأن الاجازة التى حصل عليها كانت بموافقة العرابيين ، ولقد شارك الانجليز فى تدبير هذه المذبحة ذلك لا شك فيه لأن المالطى الذى تسبب فيها كان يعمل فى القنصلية البريطانية فى الاسكندرية ثم طرد منها وظل اخوه يعمل خادما خاصا للسير تشارلز كوكس قنصل بريطانيا فى المدينة ، وقد لعب كوكس فى هذه الفتنة دور الشيطان .

- ثانى الخونة هو السلطان عبد الحميد الثانى ، ذلك الداهية الاريب المتشكك فى كل من حوله والديكتاتورى بطبعه والذى آمله أن يرى إحدى البلاد الخاضعة له –ولو أسمياً تجتاحها ثورة تطالب الحياة النيابية والدستور وهو السلطان ذاته الذى كان قد انقض بمؤامرة دنيئة على الثوار فى عاصمة ملكه ونفى مدحت باشا أبو الدستور وهدم البرلمان العثمانى فى جلسته الأولى . ولم يكمل سنة من عمره بل- أى الدستور – وسحب الدستور الذى كان قد منحه فور توليه العرش .

كانت الثورة العرابية بالنسبة للسلطان فرصة لضرب مصر وحاكمها حتى يمكنه فرض قبضته القوية عليها ، وظنها فرصة لابعاد النفوذ الأوروبى عنها كى يسهل له حكمها بلا امتيازات لحاكمها ، ولقد كان لتعليماته لبعثة درويش باشا التى جاءت لتقصى الحقائق فى مصر واسعد أفندى زميله ، بأن طلب من درويش الوقوف ضد عرابى والإنضمام مع الخديوى ، ومن أسعد أفندى أن يضع يده فى ايدى الثوار تأكيداً لصداقته لهم كان ذلك الموقف المتناقض إنتهازياً حتى يظل يحتفظ بالمنتصر فى يده ولكن جاء منشور السلطان الخاص بأن عرابى كافر وأنه خرج عن طاعة أولى الأمر جاء هذه المنشور الذى اصدره عبد الحميد تحت ضغط الانجليز جاء فى الواقع مدمراً للثورة العرابية وكان له تأثير على أعوان

عرابى من البسطاء من القاعدة الشعبية .

وقد حاول درويش هذا إغراء عرابى بالتوجه للاستانة وهناك كان من الاحتمال أن يعدم ولكن عرابى رفض وبناء على توجيهات السلطان كانت ستدبر عملية خطف لعرابى عند زيارته لاحدى السفن فى ميناء الاسكندرية ورغم أن السلطان منح عرابى نجمة الشرف أو ماكان يسمى الوشاح الأكبر من النيشان المجيدى إلا أنه من البداية كان من الواضح أن عبد الحميد كان يفضل توفيق بكل مافيه من عيوب على أن يتقبل حكم العرابيين وماكانت تعنيه تطلعاتهم من دمار لأساليب حكمه .

- ❖ أما ثالث الخونة فهو " فرديناند ديلسيبس " ذلك الفرنسى الذى كرمته مصر وأعطته الخلود . فقد جعل عرابى يثق فيه ولايقوم بردم القناة على أساس أن هناك قوانين دولية تحكم المرور فى القناة وأنه لايجوز استخدام القناة فى العمليات الحربية. وقد يقال أنها مسئولية عرابى أن صدق ولكن عرابى كان لايزال يؤمن بالقوانين الدولية ولم يكن يدرك أنه يتعامل مع شياطين أوروبا الذين لاقيم لهم ولاقوانين سوى تحقيق النصر . ولقد كان منع عرابى من ردم القناة ثم السماح للسفن الحربية الانجليزية بالعبور هو السبب المباشر فى هزيمة التل الكبير التى لحقت بالعرابيين لأن انتقال ميدان القتال من الجبهة الغربية إلى الشرقية التى لم يكن بها أى استعداد ثم حدوث النزول البريطانى من الشرق أدى إلى تفكك صفوف العرابيين مع قلة استحكاماتهم مما كان سبباً فى هزيمتهم ولاشك أنه لولا معركة التل الكبير مادخل الانجليز مصر .
- ❖ أما الخائن الرابع فهو الأميرالاى " على يوسف خنفس " الذى كان على علم تام بخطة العرابيين فى الهجوم على الانجليز فى معارك التل الكبير وقام باطلاع الانجليز على الخطة وتسبب بخيانته فى ضرب جيش الصالحية الذى كان يقوده محمود سامى البارودى وكان عدده أكثر من ١٢ ألف جندى مصرى قتل بسبب هذه الخيانة أكثر من نصفهم هرب النصف الآخر من شدة قصف المدفعية التى كانت فى انتظارهم نتيجة لخيانة خنفس . والواقع أن الخيانة فى مجال المعارك العسكرية فى الميدان الشرقى يمكن أن تضم حسن بك رأفت قومندان الطوبجية . وأحمد بك عبد الغفار قائد السوارى ومعه زميله

عبد الرحمن حسن ولولا الخيانة العسكرية من هؤلاء ماحاق بالمصريين ماحاق.

أما الخيانة المدنية والتى كان لها تأثيرها على بعض الأفراد العسكريين فإنها تتجلى فى السيدين أحمد عبد الغفار ، السيد الفقى وكانا عضوين فى مجلس شورى النواب عن مديرية المنوفية ، والشيخ أحمد أبو سلطان وأخوته وهم من زعامات عرب الهنادى القاطنين بالشرقية فهؤلاء اشتروا بالذهب وتحت اغراءات المكافآت وبعض ذوى النفوس الضعيفة من الضباط العرابيين ومن ضمنهم راغب ناشد أحد ضباط مقدمة الجيش .

أما عن خيانة البدو للثورة العرابية فقد نجح الانجليز فى شراء سعود الطحاوى فى الصالحية ومحمد البقلى فى وادى طومبلات وكان الانجليز يشترون الواحد من البدو بجنيهين أو ثلاثة جنيهات وكان محافظ بورسعيد الذى عزله العرابيون هو الذى قام برشوة قبائل سيناء مع الانجليز ومحافظ الاسكندرية هو الذى أغرى قبائل أولاد على سكان مديرية البحيرة على القيام بالشغب فى الاسكندرية وكان أخطر هؤلاء سعود الطحاوى والذى قبض مبلغ ٥٠٠٠ كرون نمسوى وكان هو الذى يتولى أمر استطلاع طلائع الجيش العرابى وفى الجانب المقابل علينا إلا ننسى بعض الشخصيات الأخرى التى ساهمت سلبياً فى صنع أحداث الثورة ، لصالح القضية التى تسعى لها ولكنها كانت سبباً فى هزيمة الثورة الجنرال ولسلى والجنرال سيمور . والدور الذى لعبه "أدوارد بالمر " استاذ اللغات الشرقية والذى كان يطلق عليه اسم عبد الله أفندى وقد ضم إليه قبيلة " الترابين "، " الطباخة " ، " الحويطات " و" الجوايات " وكان يساعد بالمر أحد الضباط الانجليز ويدعى " جل" ، ومن العجيب أن عدالة السماء انتقمت للشعب المصرى من " بالمر " و " جل " بأن قتلا على يد بعض الأعراب بالرصاص فى " وادى صدر " .. وكان معهما ثالث يدعى " تشاربيتون " .

ومن أخطر الشخصيات المصرية " محمد سلطان " ذلك الرجل الذى لطخ تاريخه فى النهاية بأن أصبح من أشد انصار التبعية للاستعمار وتخلى عن الثورة وعن افكاره وصار من أهم اتباع الخديوى .

وساعد سلطان باشا فى هذا المضمار عثمان بك رفعت ياور الخديوى وكان ذكياً وماهراً فى إحداث تأثير كبير فى نفوس عدد كبير من الضباط وبخاصة

الشراكسة

وكان سلطان باشا هو نائب الخديوى المرافق للحملة الانجليزية وبانحيازه للمعسكر المضاد للثورة اضعف العرابيين كثيراً .

أبطال أهملهم التاريخ

لم ترتبط ثورة باسم شخص خلال موكب التاريخ المصرى سوى الثورة العرابية، ولكن ذلك لايعنى أن عرابى وحده هو صاحب الثورة أو هو صانعها ، فقد صنعها دم الشعب المصرى وكفاح آلاف من الضباط والجنود .

ويكفى أن نتذكر أن من قبض عليهم من المدنيين كان حوالى ٢٠ ألف مواطن مابين كبير وصغير بحيث يمكن أن يقال أن مصر كلها كانت سجينة باسم الثورة العرابية .

نذكر الشيخ محمد عليش مفتى الديار المصرية الذى أصدر فتوى طالبت بخلع الخديوى جاء فيها ، " أن الخديوى حاول بيع البلاد للاجانب واطاع قناصل أوروبا فإنه لم يعد يصلح لأن يكون والياً على المسلمين المصريين ويجب لذلك خلعه " .

وهناك قاض قضاة مصر فى تلك الفترة الشيخ عبد الرحمن ناخذ وإمام المعية والشيخ عبد الهادى الابيارى . فهؤلاء دفعوا عجلة الثورة إلى الأمام وكانوا قدوة لانضمام الكثير من أفراد الشعب لتأييد الثورة .

وإذا كانت سطور بعض المؤرخين الصادقين قد ذكرت بعض الذين جاهدوا مع عرابى فى ميادين القتال وصمدوا وضحوا بحياتهم وأرواحهم حتى آخر قطرة فى دمائهم فإن الكثير من اجيالنا لاتعرف عن اولئك الذين ساهموا فى حماية الشرف العسكرى المصرى ويجب أن نذكر من هؤلاء الابطال :

١) **محمد عبيد :**

ذلك البطل الذى قام برفع الحصار عن أحمد عرابى وصاحبيه من براثن محكمة عثمان رفقى فى ثكنات قصر النيل .

وكان هو قائد المدفعية فى معركة التل الكبير ورغم مفاجأة الانجليز له فى هذه المعركة فإنه تلاحم معهم بالسلاح الأبيض وهو على ظهر جواده وظل يقاتل حتى تناثرت اشلاؤه ولم يعرف له قبر حتى الآن .

محمد عبيد هذا كان متطرفاً فى أفكاره وكان ينادى بالجمهورية ويعتبر أن

الحكم الملكى فاسد

٢) **على الروبى :**

هو بطل معركة التل الكبير والذى ظل يناضل حتى مات فى ميدان المعركة .

وهو احدى الشخصيات الاسطورية فى الجيش المصرى وكان صاحب أول تنظيم سرى داخل الجيش المصرى منذ سنة ١٨٧٦ وقد أدى دوراً رائعاً فى مساندة عرابى وإدخال الأفكار الثورية داخل القوات المسلحة .

٣) **راشد حسين :**

هو بطل معركة التل الكبير مع محمد عبيد وعلى الروبى والذى ظل يناضل حتى استشهد فى ميدان المعركة .

وكان برتبة فريق وقد ظل يقاتل حتى جرح فى قدمه نتيجة للاصابة برصاصة وكان يطلق عليه " أبو شنب فضة " وظل ثابتاً فى معركة القصاصين ولولا ظروف الخيانة وجرحه لكان قد بدل صفحة التاريخ .

٤) **حسن رضوان :**

كان قائد المدفعية فى الميدان الشرقى وظل يصلى الانجليز ناراً حامية إلى درجة أن أعجب به قائد الجيوش الانجليزية لبسالته فى المعركة .. ورد له سيفه وهو محمول على نقالته بعد جرحه احتراماً له وتقديراً لشجاعته.

٥) **عبد الله النديم :**

من الاسكندرية ، لم يكن فرداً متميزاً بمواهبه وانما كان رجلاً تجمعت فيه طاقات شعب عريق .

ظل تسع سنوات شارداً بعيداً عن أعين السلطة والشعب يدارى عليه ، وصدر ضده حكم غيابى بالنفى المؤبد من القطر المصرى حتى قبض عليه فى قرية الجميزة بجوار طنطا بعد وشاية دنيئة حيث نفى إلى يافا ثم عاد إلى مصر ولكن كرومر طلب من الخديوى عباس حلمى الثانى إبعاده ثم عاش فى الاستانة فى صحبة الأفغانى ولم تطل حياته طويلاً نظراً للوشايات التى لحقته ومرض بالسل فقضى على حياته سنة ١٨٩٦م.

الفصل الرابع
الثورة العرابية أمام محكمة التاريخ
مالها وما عليها

" لايجب أن تعتمد كتابة التاريخ على رؤية شاهد وحيد ، ولا أن نكتبه بعقلية المتهم الذى يحاول تبرئة نفسه أو الخصم صاحب المصلحة ، ولا أن نلونه بما يروق لنا من ألوان ، ولا نطوعه للاهواء والنزوات .. لأن التاريخ قاس لايغفر الخطايا ولايمحق الاخطاء حتى لو صدرت بحسن نية ..

تضاربت آراء المؤرخين والكتاب والباحثين فى تقييم الثورة العرابية واختلفت نظرة الدارسين إليها وكانت الوصمة التى وضعوها فى رقبة هذه الثورة أنها انتهت بالاحتلال الانجليزى ، ناسين أومتناسين أن انجلترا منذ سنة ١٧٩٨ وعينها لاتغفل عن مصر وتحلم بالسيطرة على مقاليد الأمور فيها ، ظهر ذلك واضحاً فى الحملة التى ارسلتها سنة ١٨٠١ للمشاركة فى اخراج الحملة الفرنسية ، ثم تلتها بحملة فريزر سنة ١٨٠٧ والتى كان هدفها احتلال الاسكندرية وضرب محمد على ومساعدة المماليك على تمكينهم من حكم مصر ، ولكن كلا المحاولتين لم تحققا لانجلترا الهدف لأن حملة سنة ١٨٠١ اجبرت على الخروج من مصر بمقتضى معاهدة اميان سنة ١٨٠٣ (مارس) التى وقعت بين انجلترا وفرنسا ، اما حملة فريزر فقد كان نتيجة هزيمتها فى معركتى رشيد والحماد أن اضطرت إلى الجلاء عن مصر ، ولكن انجلترا ظلت ترصد الأحداث فى مصر ووقفت مذهولة أمام يقظة الشعب المصرى فى ظل حكم محمد على ونظرت مصر بعين الحقد والخوف من انتصارات مصر الحربية التى جعلتها تتحكم فى امبراطورية واسعة الأطراف امتدت من الخليج إلى السودان تضم الشام بأكمله والجزيرة العربية كلها تقريباً .

ولم تقف انجلترا مكتوفة الأيدى بل وقفت بالمرصاد لحاكم مصر حتى حانت لها الفرصة مرة فى سنة ١٨٢٧ حيث تزعمت أوروبا فى تحطيم الأسطول المصرى فى معركة نوارين البحرية سنة ١٨٢٧ ثم فى سنة ١٨٤٠ حيث وقعت معاهدة لندن وبها تقلص حكم محمد على بعد أن أرسلت انجلترا اساطيلها إلى الأسكندرية ، وهددت محمد على بطرده من حكم مصر ان لم يتقبل تحكيمها .

وبعد افتتاح قناة السويس –والتى ظلت انجلترا تعارض شقها خوفاً من سيطرة الفرنسيين عليها –أصبح شغل انجلترا هو كيف أن تدفع بالأمور فى مصر إلى مرحلة من الفوضى ليسهل لها التدخل وعندما اتيحت لها فرصة شراء أسهم مصر فى شركة القناة لم تتوان انجلترا عن اتمام الصفقة دون أن تعود للوزارة الانجليزية لأخذ رأى البرلمان قبل عقد الصفقة طبقا للقوانين الانجليزية.

ولم يكن عرابى هو الذى مهد للاحتلال بقدرما كان السبب فيه ولاة مصر ابتداء من سعيد واسماعيل وأخيراً توفيق فالأول هو الذى أفتتح باب الديون والثانى هو الذى جلب المصائب على مصر وأتاح للتغلغل الأجنبى الفرصة كاملة للسيطرة على امور مصر ولم تكن الثورة العرابية الا رد فعل لهذا التغلغل ، ثم كان لموقف توفيق الذى احتضن التدخل الأجنبى الأثر الأكبر فى وقوع الاحتلال البريطانى .

والحق أننى لسنوات طوال لم أعثر على مؤرخ كتب عن الثورة العرابية دون أن يكون متحاملاً أو مجاملاً ولأضرب لذلك مثلاً :

الكتاب الذى كتبه "محمد رفعت" وقد شغل منصب وزير المعارف حتى عام ١٩٥٢ وظل كتابه يدرس للكثير من أجيالنا ، وصف الثورة العرابية بأنها فتنة عسكرية وأنها هوجة هوجاء ونقطة سوداء ، ونسى سيادته أن الثورة العرابية حركة وطنية ووثبة تاريخية فى مواجهة التسلط الأجنبى وأنها نتيجة طبيعية للاستبداد والاستغلال ، وهذا هو ما أورده فى كتابه المعنون باسم "تاريخ مصر السياسى".

ثم الكتاب الذى كتبه عبد الرحمن الرافعى المعروف باسم "احمد عرابى" فقد وصف الثورة العرابية بالمهزلة مع أنها انتهت بمأساة ولم يذكر فى كتابه ذى المائتين والتسعة عشرة صفحة عامل الخيانة بين الاسباب التى أدت إلى الاخفاق

والفشل لهذه الثورة ، وقد حمل احمد عرابى .. حمله وحده دون أحد سواه مسئولية انقسام مصر إلى معسكرين .. معسكر الخديوى ومعسكر الثوار .. ورغم أن الاستاذ الرافعى اثرى تاريخ مصر بما كتب وجمع وسطر ورصد من احداث فى مجموعة كتبه الرائعة إلا أن كتابه عن عرابى كان سقطة تاريخية لم تنصف الرجل ولا الشعب ولا الثورة ، ويعزو البعض ذلك لأن الرافعى كان ينتمى إلى الحزب الوطنى (حزب مصطفى كامل) وأن هذا الحزب كان يناصب عرابى وثورته العداء معتبراًأياه مسئولاً عن الاحتلال البريطانى .

لقد كان شرطاً من شروط الوطنية لدى الرافعى أن يكون الولاء لمصر من خلال الانصياع لسلطة العرش والخضوع للدولة العثمانية أو بمعنى أخر كانت النظرة الإسلامية لديه هى العطاء لكل وطنية ومن هنا لا نستغرب أذا التقت وجهة نظر عبد الرحمن الرافعى فى تقييمه لشخصية الخديوى توفيق مع وجهة نظر اللورد كرومر رغم أن كلا من الرافعى وكرومر كانا على طرفى نقيض .

ولكن قد يتساءل القارئ هل معنى ذلك أن الثورة كانت بلا اخطاء ، وهل يتحمل العالم كله الخطيئة وتبرئ الثورة من أى خطأ أم أننا أنفسنا لا زالنا نعيب على الأخرين وننتقدهم ثم نقع فى نفس الخطأ .

الواقع أن لكل ثورة أهدافها ومبادئها والدوافع التى قامت من أجلها والنتائج التى ترتبت عليها وبقياس ذلك كله بظروف العصر الذى حدثت فيه الثورة العرابية يمكننا أن نحكم بما لها وما عليها .

سأبدأ أولاً بالتأكيد على أن ماحدث فى مصر فى المرحلة من فبراير ١٨٧٩ وحتى سبتمبر ١٨٨٢ كان ثورة بالمعنى الحقيقى وأنها كانت تنتشد أهدافاً أربعة هى :

١- القضاء على الاستبداد والدكتاتورية وحكم الفرد من خلال تحديد سلطات الخديوى الذى كان حاكما بأمره .

٢- المطالبة بالحياة الديمقراطية والتى كان أهم مظاهرها المجلس النيابى والذى ظلت جلساته معطلة منذ أن انفض آخر مجلس شورى النواب فى ٦ يوليو سنة ١٨٧٩ .

٣- بناء جيش وطنى قوى تتاح فيه الفرص المتكافئة للمصريين للترقى وأن

يصل بتعداده إلى الحد المقرر له فى الفرمانات السلطانية (وهو ١٨ ألف جندى) وأن ترفع سيطرة الشراكسة من هذا الموقع وألا يوظف الجيش فى أى وظائف تحط من شرف الجندية والعسكرية كحفر الترع وبناء الجسور.

٤ - القيام بمجموعة من الاصلاحات كالتعليم والاهتمام بالزراعة والرى وتخفيف عبء الضرائب .

وثق العرابيون بتوفيق فى الوقت الذى كانوا يودون عزله ، وسمحوا للأجانب أن يتكلموا باسمه فرضى العرابيون بمفاوضة هؤلاء الاجانب رغم أن أحد اهداف الثورة كان ابعاد شبح النفوذ الاجنبى فى مصر ، وثقوا بديلسبس وأتبعوا القانون الدولى دون أن يدروا أن عصر القوة هو الذى يحكم وان الاستعمار لن يخجل من فعل شئ لأن التاريخ لن يجرؤ على مجادلة الغالب والمنتصر فى نفس الوقت الذى لن يسعى لدفاع المهزوم لأن ذلك لن يقدم أو يؤخر .

وفى حياة الشعوب لحظات حاسمة لا بد فيها من حدوث حدث ما ، واذا ما تجمعت خيوط تكوين هذا الحدث فإنه يصبح حتميا وذلك ما يجعلنا نقول أنه فى حياة الشعب المصرى حدث مثل هذه اللحظات الحاسمة وكان من الحتمى أن تقوم فيها الثورة فالشئ الذى يجب أن يفهمه الكثير من اجيالنا هو أن الثورة العرابية كانت حتمية .

حتمية نشوب الثورة العرابية :

تولى توفيق ادارة البلاد وهى فى حالة سيئة ، خزانة خاوية ، وجنود متذمرون مما كانوا يقاسونه من استبداد من رؤسائهم ، الاتراك والشراكسة ، اعيان البلاد مضطربون قلقون من جراء الحالة المالية والسياسة المفزعة التى أدت إلى تحكم الأجنبى ، عامة الشعب فى حالة من البؤس والفقر من شدة وطأة ما حل بهم خلال الأوضاع السابقة .

وحتى الأوروبيون كانوا فى تذمر لما اصاب تجارتهم من كساد بسبب اضطراب الحالة وعدم استقرارها .. والدائنون منهم فى قلق متزايد على مصير ديونهم .

كل هذه الأوضاع كانت فى حاجة إلى ربان ماهر يدير دفة السفينة لينقذها من الأنواء العاصفة ، والمساوئ الصارخة ، غير أن الظروف لم تساعد على اسناد الأمور إلى توفيق لأنه لم يكن رجل الموقف إذ كان ضعيفاً مستسلماً متقلباً فى أرائه ومع ذلك كان ميالاً إلى الاستبداد والاستئثار بالسلطة .

لقد تميزت الفترة السابقة للثورة العرابية بسيطرة الاتراك والشراكسة على الحياة المدنية والعسكرية فى مصر التى كانت ضيعة لغير أهلها وكانت ثروتها يستمتع بها غير مواطنيها وكان كل شئ فى يد مستوطنيها .

ولذلك لم يكن عجيباً أن تقوم الثورة فى مصر فى ذلك الحين فمصر كانت حبلى حقاً وكان المخاض الثورى فى الطريق حيث كانت ارهاصاتها المظاهرة العسكرية التى قامت فى ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ وتعرضت لرئيس الوزراء نوبار والمراقب المالى الانجليزى بسبب عدم صرف رواتب الضباط لمدة تزيد على العشرة أشهر وبعد هذه المظاهرة بدأ الخوف يدب فى قلوب الاجانب من الجيش المصرى على مصالحهم وقد انتهزت السيطرة الأجنبية فرصة خلع الخديوى اسماعيل (٢٥ يونيو ١٨٧٩) وتولية ابنه توفيق وأصرت لجنة التصفية على صدور مرسوم خديوى يخفض عدد الجيش وترتب على ذلك تسريح نحو ٢٥٠٠ ضابط ولم يبق فى الخدمة سوى نحو ٥٠٠ ضابط .

فى ظل الظروف السابقة كان حتماً أن تقوم الثورة العرابية فى مواجهة الأوضاع التى تئن منها مصر ويشكو منها المجتمع المصرى .

قامت الثورة وحققت تلاحم الجيش والشعب وظهرت فيها آيات الوحدة الوطنية بين الهلال والصليب بشكل لا مثيل له بل وشارك فى بعض اجتماعاتها الحاخام الاسرائيلى لطائفة اليهود فى مصر وحققت الثورة فى ٣ سنوات الكثير من معانى الديمقراطية حيث وجد مجلس شورى للنواب وزاد عدد الجيش وخفض الكثير من الضرائب وازداد وعى الجماهير وبدأ رأى عام يتكون ولكن أصبع الشيطان بدأت تلعب فى الخفاء لتقضى على احلام البسطاء وكان لتدخل الاجانب والقوى الاستعمارية الأثر الكبير لفشل الثورة .

اخطاء عرابى واصحابه :

١- لا شك أن تردد عرابى فى سد القناة أو تخوفه من ذلك حتى لا يواجه اساطيل وجيوشاً أوروبية متعددة بدلاً من اسطول واحد كان من العوامل التى سهلت للانجليز اغتصاب مصر .

٢- ظهرت خيانة على يوسف مبكرة بالنسبة لعرابى وقبل معركتى القصاصين

والتل الكبير وطلب بعض المقربين من عرابى أن يحاكم الرجل محاكمة عسكرية أو أن يرسله إلى ديوان العسكرية ولكن عرابى رفض الفكرة وابقى على " المذكور" ضمن قيادة الجيش فكانت الطامة الكبرى وكان عبد الله النديم قد ادرك بوعيه الوطنى حقيقة على خنفس وعندما تأكد لعرابى اتصالات خنفس بالانجليز حاول أن يأخذ بنصيحة النديم ولكن كان قد فات الآوان .

٣- عندما بدأ انصار الخديوى يوزعون منشور السلطان الذى اعلن فيه السلطان عصيان عرابى لخليفة المسلمين لشرعية اشتراك الجيش الانجليزى فى اخماد الثورة المصرية ونشر المنشور فى صحف الاستانة فى ٦ سبتمبر ١٨٨٢ ، طلب عبد الله النديم نشر المنشور فى صحيفة الثورة المعروفة باسم " اللطائف " للرد عليه . وكان هدف النديم أن الأثر الذى سوف ينشب عند توزيع المنشور سراً سوف يكون مدمراً على نفوس المصريين –وكان محقاً فى هذا –ولكن عرابى لم يستحسن النشر بحجة أن عامة الناس ومعظم الضباط والجنود كانوا يعتقدون أن الحرب بتأييد من السلطان وأنهم يدافعون عن حقوق السلطان التى هى حقوق الدين ومن ثم فإن اظهار المنشور للناس يؤدى إلى تحول القلوب عن عرابى ويحل رابطة اجتماع الأمة فى مواجهة الحرب المقدسة .

ولكن نسى عرابى أن توزيع المنشور سراً سيكون بمثابة الصدمة الكهربائية للمحاربين من المصريين وفعلاً كان للمنشور أسوأ الأثر فى مجتمع كانت سيطرة الدين عليه قوية وبدأ الجنود يعتقدون أن من يموت فى هذه الحرب لن يكون شهيداً بل يكون مأواه جهنم لأنه عاص لسلطان "خليفة الله فى الأرض " وحاول عرابى أن يأخذ بنصيحة النديم ولكن بعد فوات الآوان .

٤- تردد عرابى فى بعض المواقف وعدم اتخاذه مواقف حاسمة من ذلك عند رجوعه إلى القاهرة كان مصمماً على المقاومة والنضال ثم انحاز لرأى الأغلبية فى ضرورة طلب العفو من الخديوى وأنه عاص مذنب ووافق على العريضة التى كتبها بطرس باشا غالى وكيل الحقانية المصرية آنذاك .

حيث وصف عرابى نفسه وزملاءه بالعصيان ويعتذر عن افعالهم الماضية ويستدر فيها عليه رحمته ويلتمس العفو عنهم ولما أوضح له النديم بقوله :" كيف تكون يا عرابى عاصياً وقد تحدثت باسم الأمة تطلب الحرية ولم تكن وسيلتك حتى النهاية إلا ما يقره القانون الانسانى والشرف العسكرى واحترمت القانون ولم تفكر فى نفسك بل فى مصر ومستقبلها ، لقد عينتك الأمة قائداً لجيوشها لتدفع عنها خطر المحتل ، وكان تعيينك شرعياً من السلطان والخديوى ومجلس النواب واجماع الامة فكيف تكون عاصياً وبعد فوات الأوان أيضا حاول عرابى أن يغير عريضة بطرس غالى لتكون أكثر واقعيا فلم تكن بهذه السلوكيات ابطال الثورات .

٥- لم يقم عرابى بتطهير الجيش من العناصر الشركسية والتركية رغم احساسه بأنهم اعداء الثورة بحكم التكوين وأن الثورة فى الواقع ما قامت إلا للقضاء على سيطرتهم ولكن عرابى لا يظهر بمظهر المتعصب فإنه أبقى الحال على ماهو عليه بالنسبة للكثير من ضباط الجيش من الشراكسة والارناؤط وهؤلاء كانوا عيوناً للخديوى كما كانوا فى اللحظة المناسبة أكبر عون للانجليز فى زحفهم نحو القاهرة .

٦- لم يكن عرابى ثوريا وانما كان نصف ثورى –اذا جاز لنا استعمال هذا التعبير –وأنصاف الثوريين تماما كأنصاف المثقفين قد يحاولون ولكنهم غالبا مايفشلون فهو لم يدرك ما تعنيه الثورية من قدرة على استقطاب الجماهير وتسليحها ، ومن ذلك عدم قيامه باعدام عمر لطفى المسئول الأول عن مذبحة الاسكندرية وعدم قيامه بمواصلة النضال بعد التل الكبير ، وكان عقب كل أزمة بينه وبين الخديوى يطلب الأذن له لكى يقدم للخديوى خضوعه التام وولائه ، حدث ذلك بعد حادثة قصر النيل وبعد مظاهرة عابدين ، ورغم أن عرابى حاول منع الخديوى من الاتصال بالانجليز إلا أنه انكر أنه فعل ذلك ولما طلب توفيق منه رفع الحراسة التى فرضها الجيش عليه رفعها فى الحال ولوقام العرابيون باغتيال الخديوى لما تمزقت مصر إلى معسكرين ولواجهت المحتل يداً واحدة .

٧- اخطأ عرابى وانصاره فى تقدير القوة البريطانية العسكرية البرية وكانوا يقولون أن الانجليز كالسمك اذا خرج من البحر مات –اشارة إلى أن قوة

بريطانيا تتركز فى اسطولها .

٨- لم يكن لعرابى باع طويل فى بحر السياسة الدولية ولم يدرك حقيقة القوة الخارجية المحيطة بالموقف والتحرك عند اختيار الموقف المناسب وقد خدع عرابى كثيراً فى موقف فرنسا ولم يدرك أنها كانت وراء الأزمات التى سببت الانشقاق بين الخديوى والثورة ، ففرنسا كانت صاحبة فكرة المذكرتين المشتركتين وصاحبة فكرة ارسال اسطولها مع الأسطول الانجليزى إلى الاسكندرية ، ولا يعنى هذا أن فرنسا كانت تقود انجلترا ، بل العكس تماماً ولكن انجلترا كانت تلعب دورها بهدوء وببرود . وفى مرحلة من مراحل الثورة ظن العرابيون أن فرنسا قادرة على منع مغامرة انجلترا الحربية ضد مصر .

٩- اتسم الكثير من زعامات الثورة باليأس والاستسلام فمثلاً محمود فهمى رئيس أركان حرب الجيش يستسلم بمجرد أن قرأ منشور عصيان عرابى .

١٠- اساء العرابيون إلى أنفسهم كثيراً بما حدث من بعضهم من تصرفات بعد انتهاء احداث الثورة فالشيخ محمد عبده يندم على مشاركته فيها والبارودى يكتب قصيدة هجاء للثورة من خمسمائة بيت ، بل أن احمد عرابى يبدى ندمه انه قام بهذه الثورة والكثير من زعامات الثورة اعتبر عرابى طماعاً وانتهازياً ولم يكن ذلك خليق بهم بعد أن كانوا مثلاً حياً للبطولة والبسالة والتضحية امام الشعب المصرى .

كل هذا لا يجب ولا شك أن ينسينا الاخطاء التى ارتكبها العرابيون فى ميدان القتال ، ولكن رغم كل الاخطاء السابقة علينا أن ندرك ايجابيات الثورة العرابية حتى نكون منصفين فى تحليلها .

ايجابيات الثورة العرابية :

كانت الثورة العرابية دعوة للحرية بلا شك ، دعوة قادها مجموعة من الشباب المصرى ، فلم يكن عرابى يزيد عن الاربعين عاماً يوم قاد الثورة العرابية (ولد فى ٣١ مارس سنة ١٨٤١) ولم يطلبوا لأنفسهم منصباً ولم يحققوا مطمعاً بل لقد فقدوا كل املاكهم وجردوا من رتبهم وضحوا بحياتهم وكل ذلك من أجل مصر .

ولقد كشفت الثورة العرابية حقيقة حكامها حيث ظهر توفيق واضحاً هزيلاً

يسلم قيادته للاجانب .. ففى مظاهرة عابدين فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ يسلم زمامه إلى كولفن المستشار المالى ، وفى ٧ يوليو يشير على الانجليز بضرب الاسكندرية وهو الذى حرض على مذبحتها من قبل فى (١١ يونيو من نفس العام ١٨٨١) وبعد ضرب المدينة فى ١١ يوليو يسلم أمره إلى قائد الاسطول البريطانى الاميرال سيمور ويسلم له نفسه على ظهر السفينة التى كان يقود منها هذا الجنرال المعركة ، وبعد كارثة التل الكبير يسلم نفسه إلى ولسلى ويدخل القاهرة فى حمايته وتحت الراية البريطانية وأكدت الايام أن كل من حكموا من صلب توفيق واسماعيل كانوا مخادعين للشعب ميالين للاستبداد خاضعين للاجانب ولذلك كان لابد من تصفية الحساب معهم فى يوم من الأيام وهذا هو ما قامت به ثورة ٢٣ يوليو سنة١٩٥٢ .

وضح ايضا للشعب المصرى حقيقة الأطماع التركية فى الوقت الذى سلمت فيه تركيا مصر خوفاً على مصالحها ، إذن فدولة الخلافة لم تقم بحماية المسلمين فى مصر ، بل جعلت من الغزو البريطانى شكلاً شرعياً وهكذا تأكد للمصريين أن النظرة لتركيا على أنها حامية مصر ليس إلا لغوا وانما تركيا كانت تمثل لونا استعماريا اتخذت من الدين الاسلامى ستاراً له .

أوليس توفيق حاكم مصر هو الذى بارك الحملة الانجليزية بمنشوره الذى جاء فيه بالنص :

" ليكن معلوما عند السلطات الملكية والعسكرية أن اميرال الاسطول الانجليزى وقائد الجيوش البريطانية العام انما اتيا إلى مصر لإعادة الأمن والنظام اليها .. ومن ثم سمحنا لهما باحتلال جميع الأمكنة التى يريان فى احتلالها ما يساعد فى قمع العصيان ومن خالف أمرنا هذا ينزل به أشد العقاب" .

اذا من الواضح أن توفيق فى سبيل الحفاظ على عرشه وسلطانه رغم أنه كان يعلم أن كل اعضاء مجلس الشورى النواب قد رفضوا طلب عرابى بعزله .. ولكنه باع مصر لحساب الانجليز .

والسلطان العثمانى الم يصدر منشوراً جعل من عرابى كافراً عاصياً وغير مسلم.

كما أنه لم يكن لأحد أن ينكر قيمة الصرخة الوطنية التى اطلقها عرابى فى وجه

الاستبداد بأن الله خلقنا احرارا وأننا لن نستعبد بعد اليوم " فتلك كانت صيحة للضمير المصرى وبعثا للوطنية المصرية فى مواجهة المستقبل وتحدياً لكل معانى الديكتاتورية المطلقة .

ويجب ألا ننسى أنه من ضمن ايجابيات الثورة انها كانت رحلة قصيرة للتجمع الوطنى بين كل قوى الشعب المصرى ، فمما لا شك فيه أن روح الشعب المعنوية ظلت قوية فى الوقت الذى كانت تجرى فيه العمليات الحربية ويستدل على ذلك من الاعانات المالية والعينية التى أمد بها الشعب الجيش ومن تطوع الفلاحين والبدو برضاهم واختيارهم لمقاتلة الانجليز وقد ذكر عرابى فى هذا الصدد " أن الأمة المصرية جادت على اختلاف مذاهبها بالمال والغلال والخيل والجمال والأبقار فمن الأهالى من تبرع بنصف ما يمتلكه من الغلال والمواشى ومنهم من خرج عن جميع مقتنياته ومنهم من عرض أولاده للدفاع عن الوطن لعدم قدرته على الدفاع بنفسه وبالجملة أن الأمة المصرية عن بكرة أبيها قدمت من التبرعات وأظهرت من النخوة والغيرة مالم يسبق له عهد من قبل فى القرون الخالية .

دروس مستفادة من الثورة العرابية :

١- كان الدرس الذى استخلصته مصر من موقف ديليسبس سنة ١٨٨٢ أنها أغلقت القناة فى سنة ١٩٥٦ وبذلك فوتت على الانجليز أن تكرر نفسها مرة أخرى وفشلت محاولاتها مع فرنسا فى غزو مصر فى ذلك العام .

٢- تدخل الجيش فى السياسة خروج عن دوره ويجعله غير قادر على الاهتمام بوظيفته الأساسية ورغم أن العرابيين حرصوا على عدم التدخل فى السياسة بعد مظاهرة عابدين وتولى شريف باشا ونفذوا ما طلب منهم حيث تقرر ارسال عبد العال حلمى بالاية إلى دمياط وعرابى بالاية إلى راس الوادى ، إلا أن الجيش عاد للمشاركة فى العمل السياسى بعد المذكرة الأولى المشتركة سنة ١٨٨٢ (٧ يناير) ولم يعرف ابعاد واعماق حركة السياسة الدولية فوقع فى اخطاء كبيرة ومع ذلك لا يجب أن ينسينا ذلك أن القوات المسلحة هى طليعة النضال فى الدول النامية .

٣- ان فرنسا بسبب سياستها الخاطئة فى المسألة المصرية كانت مسئولة عن الاحتلال البريطانى فى مصر وذلك منذ أن صارت تعمل لخلع الخديوى

اسماعيل وتم لها ما ارادت ثم منذ أن قامت سياستها على الحيلولة دون أى تدخل عثمانى فى مصر ومحاولة جعل الأمر مقصوراً عليها مع انجلترا فقط وأما المسئول مباشرة عن فشل السياسة الفرنسية فكان "فرسينيه" رئيس وزرائها الذى اظهر تردداً عظيماً فى سياستها وأثر فى المرحلة الأخيرة أن يعتمد على مؤتمر الاستانة لايجاد حل للمسألة المصرية ورفض ان يشارك بريطانيا اعمالها الحربية أو حتى أن يتصدى لمنعها ، وكل مافعلته الثورة العرابية أنها كانت دافعاً عجل بتحقيق الاطماع البريطانية التى كان المجتمع الدولى غافلاً عنها فى ذلك الحين .

٤- لعل المؤرخون يستطيعون باطمئنان القول بأن الشعب المصرى يثور عقب أى هزيمة عسكرية تلحق به فيما لا يزيد عن خمس سنوات من واقع الجريمة ، حدث ذلك بعد غزو الفرنسيين لمصر فثار الشعب سنة ١٨٠٥ وغير النظام بأكمله ، وحدثت الثورة العرابية بعد هزيمة الجيش المصرى فى الحبشة ١٨٧٦/٧٥ فثارت مصر فى سنة ١٨٨١ ثم حدث بعد نكسة وهزيمة سنة ١٩٦٧ فثارت مصر فى سنة ١٩٧١ وكل ثورة بلا شك كانت تحمل ملامح نظام جديد .

٥- بقى أن نختم تحليلنا للثورة العرابية أنها أبرز احداث التاريخ المصرى فى الربع الأخير من القرن الـ ١٩ وكانت محاولة وطنية جادة من اجل انتصار ارادة وطن عبثت به وبأقداره تحالف أودى بحريته .هذا التحالف كان بين حاكم متسلط وتدخل اجنبى وسيطرة رأسمالية ولم يكن امام هذا الوطن سوى الثورة .. ولكن سيأتى زعماء ويذهبون تغرب عليهم الشمس ويرحلون ويصبحون فى وادى الذكريات ويبقى الشعب إلى الابد لا تغرب شمسه وسوف تنتصر ارادته لإنها ارادة الله .

الخاتمة

لقد كتب الكثيرون من أجانب ومصريين عن الثورة العرابية ، ولكن قل منهم من توخى الحقيقة المجردة من الهوى وأزاح عنها الريب والشكوك .

كانت الثورة العرابية أول حركة وطنية قام بها المصريون بعد عدة قرون استسلموا فيها للغاصب الدخيل ، حتى خيل للناس أنهم خلقوا للمضيم ، كما خلق غيرهم للحكم والسلطان . ولكنها كانت فترة قصيرة –رغم طول زمنها نسبياً – فى حياة مصر الخالدة –غشى فيها على طابع الشخصية القومية الذى لم يمحه استبداد الفاتحين .

وقد كانت مصر دائماً فى صراع مع الشيطان الإستعمارى .. وفى الوقت الذى جاءت فيه الحملة الفرنسية إلى مصر كانت الحياة فيها حياة ظلم وفساد وتحولت إلى غابة تحكمها وحوش ضارية حيث كان المماليك يعتبرونها غنيمة سائغة وكان الأتراك يرونها حقاً لهم لا يجب أن ينازعهم فيها أحد ... وأهتدى ساسة فرنسا إلى أن أسلم طريق للقضاء على قوة عدوتها اللدود بريطانيا إنما هو هزيمتها فى مستعمراتها الشرقية بقطع المواصلات البريطانية إلى تلك المستعمرات .

ولكن حين نزل الغزو الفرنسى بمصر تناسى المصريون كراهيتهم للحكام الطغاة من المماليك والعثمانيين ووقفوا معهم جنباً إلى جنب لمقاومة الغزاة ، ولم يكن من المعقول أن تصمد سيوف مراد ومماليكه أمام قوات الفرنسيين وتنظيماتهم العسكرية الدقيقة فإنهارت المقاومة الرسمية لتبدأ المقاومة الشعبية الصرفة ، وأقول المقاومة الشعبية لأن الذى قام بثورتى القاهرة الأولى والثانية ضد الحكم الفرنسى هم أهل القاهرة أنفسهم .

وبينما كانت المقاومة الشعبية تعيش أنبل ساعات عمرها نجد أن المماليك يهربون من القاهرة إلى أقاصى البلاد ويحملون معهم حليهم وأموالهم تاركين

الشعب وجهاً لوجه أمام الجيش الفرنسى المنظم وعتاده الحديث ... وهناك أسباب عدة لفشل الحملة الفرنسية التى جاءت إلى مصر سنة ١٧٩٨م والتى استهدفت غزو مصر وسورية وجعلها قاعدة لإمبراطورية فرنسية فى الشرق ... إلا أنه مهما قيل من آراء فى تفسير سبب تسليم الفرنسيين آخر الأمر بجلائهم عن مصر فإنه لا ينبغى تجاهل سبب هام فى هذا التفسير وهو إدراك الفرنسيين تعذر بقائهم وسط شعب يعاديهم ويخطف أسلحتهم ليحاربهم بها وينقض على من يصل إلى أيديهم من جنود الاحتلال وكان من نتائج الحملة الفرنسية على مصر أن اتجهت أنظار بريطانيا إلى أهمية موقع مصر الجغرافى والاستراتيجى ومنذ ذلك الوقت لم تألُ إنجلترا بهذا فى محاولة إحتلال مصر أو بسط نفوذها فيها أو تقرير وتحقيق المركز الممتاز لها أى مجهود .

وفى سبيل تحقيق هذا الهدف الإستعمارى سعت بريطانيا بشتى الطرق حتى تحقق لها فى سنة ١٨٨٢ احتلال مصر دعماً لنفوذها الاستعمارى وصيانة لامبراطوريتها فى الهند أى أنه سواء قامت الثورة العرابية أم لم تقم فإن بريطانيا كانت تنوى وتخطط لاستعمار مصر وظلت تسعى وراء هذا الهدف حتى حانت لها اللحظة المناسبة فى أحداث الثورة العرابية .

وقد قال المؤرخ البريطانى " بولدوين " فى مذكراته عن مصر والمنشورة سنة ١٨٠١ " ان انجلترا جديرة بأن تفخر بجواهر التاج البريطانى ، ولكنها إذا استطاعت الاحتفاظ بمصر أضافت إلى هذا التاج جوهرة لم تنظم فيه جوهرة أثمن منها " .

بل ذهب البعض من المسئولين فى بريطانيا إلى القول " بتدمير مصر وإغراق أراضيها " فى حالة مقاومة المصريين لمشروعات انجلترا الاستعمارية فى مصر .

وفى سنة ١٨٠٢م خرج الانجليز من مصر وهم ينوون العودة اليها ... سنة ١٨٠٧ عاد الانجليز إلى مصر من خلال حملة " فريزر " ولكن تصدت لها المقاومة الشعبية وأوقعت بهم الهزيمة عند رشيد والحماد وتم لمصر النصر وكان الفضل كله للقيادة الشعبية الماهرة بزعامة عمر مكرم ولم يبخل شعب مصر بالمال

والأرواح فى صد الغزاة الإنجليز .

وجاء عصر خلفاء محمد على فى تناقض من خائف إلى خائن وكان عصر إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩) بداية ازدياد الأزمة المالية فى مصر وغرق مصر فى الديون .. فقد كان إسماعيل يظهر بمظهر من لا يحسب حساباً للعواقب فى إصلاحاته كما يقول البارون

دى بلورسى :-

" كالبانى الذى أراد أن يبنى بيتاً يكلفه مالا طاقة له به فرهن الأرض وتقدمت له الشركات الأوروبية بالمال علماً منها بأنها ستضع يدها على البيت يوم يعجز المدين عن سداد دينه " .

ولا ريب أنهم كانوا يعيرون إسماعيل المال بأفحش أنواع الربا ، وقد وضح كاتب إنجليزى إسمه " سيموركى " فى سنة ١٨٨٢م ان مصر كانت دفعت حتى هذا العام جميع دينها الحقيقى .. أى المبلغ المفترض حقيقة بفائدة ٦٪ ، ومع ذلك فقد ظلت مصر مثقلة بدين رسمى لا يقل عن ٩٠ مليون جنيه كانت سبباً فى الزحف الاستعمارى للسيطرة على مقاليد الأمور فيها حتى تم احتلالها بحجة حماية المصالح الأوروبية والرعايا الأجانب .

ففى سنة ١٨٧٥ انتهزت إنجلترا فرصة وقوع مصر فى أزمة مالية فإشترت منها أسهمها فى القناة وعددها (١٧٦ر٧٠٢ سهماً) بمبلغ أربعة ملايين من الجنيهات وهو ثمن بخس ٠٠٠ اذ قدر أن هذه الأسهم بلغت قيمتها سنه ١٩٢٩م مبلغ ٧٢ مليون جنيهاً وكان فرع الخزانة البريطانية من تلك الأسهم حتى سنة ١٩٢٩ نحو ٣٨ر٠٠٦ر٠٠٠ جنيهاً .

وفى سنة ١٨٧٦ استغلت أوروبا أزمة مصر المالية الشديدة فأرغمت مصر على النزول عن حصتها من أرباح الشركة وهى ١٥٪ فى مقابل ٨٨٠ر٠٠٠ جنيهاً مع أن إيراد هذه الحصة كان فى هذه السنة يبلغ ٨٦٩ر٠٠٠ جنيهاً .

لقد بدأت صورة التدخل الأجنبى فى مصر عن طريق الأزمة المالية وتجسدت صورة هذا التدخل فى أول نظارة (وزارة) فشكلت سنة ١٨٧٨ رأسها أرتين نوبار باشا الأرمنى وكان وزير ماليتها ريفرز ولسون الإنجليزى وكان وزير الأشغال فيها

دى بلينير الفرنسى .

وأول أعمال هذه الوزارة كان فصل ٢٥٠٠ ضابطاً مصرياً من الجيش بحجة تخفيف عبء الميزانية ولم تدفع لهم متأخر رواتبهم عن ١٥ شهراً ماضية ، كما أقصت الموظفين المصريين عن السلطة وعزلت بعضهم وعينت فى الوقت نفسه بعض الأجانب . كل ذلك أشعل جذوة الحركة الوطنية فى النفوس ويثور الجيش – درع الأمة – فتقوم ثورة عسكرية فى مظهرها الأول ثم تصطبغ بالطابع القومى .. تلك كانت الثورة العرابية .

لقد كانت الثورة العرابية حركة وطنية قومية انبعثت فى مصر وهى تعتبر بحق من قمم النضال الثورى والمقاومة الشعبية فى مصر ، هذا النضال الذى كان ثورة على التدخل الأجنبى فى شئون مصر وثورة أيضاً على فساد الحكم الذى كان سائداً فى مصر . حيث كان الاستبداد والظلم ينشران ظلالهما ..

ولم تكن هذه الثورة إلا نتيجة لفساد أحوال مصر . ويتلخص هذا الفساد فى أمور ثلاثة :-

الحكم الاستبدادى ... الأزمة المالية ... تغلغل النفوذ الأجنبى .

وكانت إنجلترا ترقب كل ما يحدث فى مصر .. بل تخطط ليصل إلى أسوأ ما يمكن أن تكون عليه الأوضاع ... حتى تحقق لها ما أرادت وهو إحتلال مصر بعد فشل الثورة العرابية نتيجة لعوامل داخلية وأخرى خارجية .

والحقيقة أن بريطانيا قد طار صوابها وهى ترى فى ثورة عرابى إجماع الأمة على هدف واحد هو القضاء على التدخل الأجنبى والتخلص من عملاء الاستعمار والاحتكارات المالية الأجنبية ... فصممت على ضرب الاسكندرية ونزول قواتها لاحتلال ارض مصر ...

لقد تجمعت قوى الشر ضد الثورة ... الخديوى والإقطاع والانتهازيين والخونة وواجهت إنجلترا أوربا بما يمكن أن يسمى بالأمر الواقع لاقتناص الفرصة لاحتلال مصر ... وتبقى الحقيقة التاريخية التى لا يجب أن يتغافل عنها أحد .. فسواء قامت الثورة العرابية أم لم تقم كان الاحتلال البريطانى سيقع حتماً لأن

سياسة الدول رهينة بإستراتيجية طويلة المدى حفاظاً على مصالحها ...

ولذا فإن على المؤرخين أن يبرئوا عرابى من مسئولية وقوع الاحتلال البريطانى .. صحيح أنه أخطأ فى بعض المواقف ... ولكن كان غدر من حوله أكبر من تفكيره ، وكانت نواياه الحسنة سبباً فى ضياع الكثير مما كان يأمل فيه ... إلا أنه يبقى فارساً فى موكب التاريخ ثار من أجل الحرية ... ودافع عن القيم الأخلاقية مردداً أنه لا نجاح لأمة نبذت أحكام دينها ولا فلاح لقوم استعبدوا لشهوائهم ..

والذى لا شك فيه أن التاريخ سجل فى أشرف صفحاته وأنصعها ما قام به أحمد عرابى فى ظل ظروف قاسية ... ولكن كان قدره أظلم له من أى عدو واجهة ... إلا أن شمعته التى إحترقت لم تضع هباء ... وظلت تضئ فى خفوت حتى علا صوت الحرية من جديد مجسداً فى صوت مصطفى كامل وهو الرائد الرابع للحركة الوطنية المصرية فى تاريخها الحديث .

المراجع والمصادر

- أحمد عبد الرحيم مصطفى
  الثورة العرابية أول فبراير ١٩٦١
  المكتبة الثقافية –القاهرة
- طلعت إسماعيل رمضان
  تاريخ مصر الحديث والمعاصر المنصورة ٢٠٠٠م
- وفيق عبد العزيز فهمى
  قضية الجلاء وثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢
  القاهرة - كتب قومية العدد ٢٤٦
- صلاح أحمد هريدى
  دراسات فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر
  القاهرة / دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ط ٢٠٠٥م
- أحمد زكريا الشلق
  تطور مصر الحديثة (فصول من التاريخ السياسى والاجتماعى)
  القاهرة –مدينة نصر يوليو ٢٠٠٢م
- أنور عبد الملك
  نهضة مصر (تكون الفكر والأيديولوجية فى نهضة مصر الوطنية)
  (١٨٠٥م-١٨٩٢م) ترجمة حمادة إبراهيم
  الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ٢٠٠١م
  شهود العصر (الأهرام) ١٠ مقالات ه ١١٠ أعوام
  القاهرة (١٨٧٦م-١٩٨٦م)
- محمود متولى
  ثورات الشعب المصرى فى التاريخ الحديث والمعاصر

القاهرة ١٩٨١م

- حسين جلال

قناة السويس والطرق البديلة والمنافسة

(١٨٦٩م-١٩٨٥م) الاسكندرية ١٩٨٧م

- عبد العزيز رفاعى

أصول النضال الثورى القومى

القاهرة –الدار القومية للطباعة –دار النشر ١٩٦٤م

عبد العظيم رمضان

الغزوة الاستعمارية للعالم العربى وحركات المقاومة

دار المعارف القاهرة ١٩٨٥

- عبد الصبور مرزوق

الخطابة السياسية فى مصر (من الاحتلال البريطانى فى مصر حتى الحماية)

دار الكتاب العربى للطباعة والنشر –القاهرة ١٩٦٧م

- مذكرات محمود فهمى

(وزير الأشغال أيام الثورة العرابية) القاهرة ١٩٧٦م

- مذكرات الثورة العرابية

بقلم زعيم مصر الأول أحمد عرابى الجزء الأول

القاهرة ١٩٥٢/٨/٢٩

المؤلف في سطور

- الإسم / أ . د . محمود متولى
- المهنة / أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة قناة السويس كلية التربية ببورسعيد .

❖ المؤهلات : -

- ليسانس أداب جامعة عين شمس
- ليسانس حقوق جامعة القاهرة
- ماجستير فى التاريخ الحديث والمعاصر بدرجة الإمتياز
- دكتوراة فى التاريخ الحديث والمعاصر بمرتبة الشرف الأولى
- دبلوم معهد الرأى العام والاعلام بمرتبة الشرف .
- دبلوم معهد السياحة العالى بتقدير جيد جداً .

❖ الوظائف التى شغلها :

- رئيس قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة أسيوط .
- رئيس قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة المنيا .
- وكيل كلية الآداب للدراسات العليا جامعة المنيا .
- عميد كلية التربية ببور سعيد جامعة قناة السويس لدورتين متتاليتين .
- عميد كلية التربية بصلالة –سلطنة عمان .
- أستاذ زائر بالجامعات العربية والأوربية .

❖ الأنشطة العلمية :

- حاصل على وسام التاريخ العربى من اتحاد المؤرخين العرب ببغداد .
- حاصل على وسام التاريخ العربى من اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة
- مؤلف لأكثر من سبعين كتابا فى مجالات التاريخ والسياسة والعلاقات الدولية
- عضو لجنة ترقيات الأساتذة منذ أكثر من ربع قرن .
- حاصل على درجة الاستاذية منذ ٢٧ عاما .

- عضو لجنة تسجيل تاريخ ثورة ٢٣ يوليو .
- حاصل على جائزة جامعة السوربون حول رسالة الدكتوراة الخاصة به والتى عنوانها : - " الأصول التاريخية للرأسمالية المصرية وتطورها وأثرها على المجتمع المصرى " .

❖ من أهم مؤلفاته :

- مصر وقضايا الاغتيالات السياسية .
- الحياة الحزبية والنيابية فى مصر قبل عام ١٩٥٢ .
- غد بلا إرهاب .
- طغاة التاريخ .
- المذاهب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .
- سلطان العدل والأمل .
- اسرائيل الحقيقة والمستقبل
- تاريخ أوربا المعاصرة .
- إتفاقية رودس بين العرب واسرائيل .
- حقوق الإنسان الأهداف والآمال .
- طوائف العالم الإسلامى .
- دور مصر فى تحرير الجزائر .
- مستقبل الأمة العربية والأطماع الأجنبية .
- الإخوان المسلمون والعمل السياسى .
- أندونيسيا والكفاح من أجل الإستقلال .
- هتلر والنازية والحرب العالمية الثانية .
- مأساة العصر فى تاريخ مصر .
- محمود فهمى النقراشى ودوره فى السياسة المصرية .
- مصر والحركة الشيوعية خلال الحرب العالمية الثانية .
- الأمم المتحدة والسلام العالمى.
- تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى خلال الحرب العالمية الثانية .
- الفيلسوف الاقتصادى الراحل .
- الوحدة العربية الواقع والمستقبل .
- إسرائيل والقنبلة الذرية .
- أفريقيا فى العلاقات الدولية .
- العالم العربى فى ظل ٦ أكتوبر .

- الإعلام وحرية المجتمع .
- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها بمصر فى القرن الـ ١٩ .
- فلسفة البحث العلمى .
- الإنسان فى محيط الزمان .

❖ أنشطة إبداعية :

- عضو مؤسس لسيمنار التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة عين شمس .
- مؤسس المنتدى الفكرى لجامعة قناة السويس .
- مؤسس دورية التاريخ والمستقبل الصادرة عن جامعة المنيا .
- مؤسس دورية قضايا تاريخية الصادرة عن كلية تربية بورسعيد
- الأمين العام المساعد لإتحاد المؤرخين العرب ببغداد .
- رئيس مجلس إدارة المركزالمصرى للأبحاث والدراسات .
- له أكثر من خمسمائة مقال منشورة فى الدوريات العلمية والصحف .
- شارك فى مناقشة أكثر من مائة رسالة فى الجامعات المصرية .
- أشرف على أكثر من سبعين رسالة ماجستير وثلاثين رسالة دكتوراة .
- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .
- عضو نقابة المحامين .

وزارة الاعلام
الهيئة العامة للاستعلامات

سلسلة رواد الحركة الوطنية المصرية
القراءة للجميع
٢٠٠٨
(٣)
أحمد عرابى

رئيس مجلس الإدارة
السفير / أيمن القفاص

إشراف عام
د. أحمد أبو الحسن

اشراف فنى عام
أحمد سلام

اشراف ومتابعة
عزة فؤاد على
داليا سامى

اشراف فنى
إيمان شوشه

الليزر
أحمد صلاح الدين
عائشة محمد حسن
سامية كمال
ناهد عبد العال

مراجعة
منار ابراهيم
أميرة بدران
هبة الرشيدى
محمد عبد الظاهر

الغلاف
مى رأفت

الإخراج الفنى
علاء العيسوى